الفاظ النور والنار في القرآن الكريم

د. ايمان صالح سعدي

المقـدمة

من المعروف لدينا في الدراسات القرآنية قديما وحديثا أن القرآن الكريم معجزة لغوية قائمة على مر العصور ، ومن المقطوع به أن التحدي في النظم والإتيان بالمثل لن يتمكن لأحد من البشر سواء من قبل أو من بعد .

لكننا نود هنا التأكيد على أن كما للقرآن معجزة وإعجاز لغوي هناك إعجاز موضوعي _ إن جاز لنا التعبير _ ونقصد به أنه في الموضوعة القرآنية سواء أكانت تأريخية قصصية أم تعبدية في الشريعة والدين أم كونية في الطبيعة و الخلق تتضمن تحدي لبني الإنسان، فهو يسرد القصص ويسن الشرائع ويثبت الحقائق في تلازم موضوعي لا يمكن إلا أن نقول عنه أنه معجز .

فتجد تسلسلا موضوعيا في السورة الواحدة وتسلسلا معجزا في تناول أية موضوعة قرآنية في آيات مختلفة وورود ذات الموضوعة في جمع من السور القرآنية إلا أننا قد نلاحظ الفروقات اللغوية الدقيقة لها أثرها في توجيه الدلالة السياقية المراد لها من الغايات الآلهية .

فمثلا الشمس والقمر من مفردات النور جئ بهما في القرآن الكريم لطرح موضوعات أجملناها فيما يأتي

١_في محاجة الكفار وإبراز عظمة خلقهما ، كما في البقرة /٢٥٨ ، الانعام / ٩٦ ، العنكبوت /٦١ ، النمل /٢٤ ، فصلت / ٣٧ ، طه / ١٣٠ ، الحج / ١٨ ، الرعد / ٢ ، النمل /١٢ ، يوسف / ٤ ، لقمان / ٢٩ .

٢ _ في تسخيرهما مع بقية الكواكب لابراز حركة الأفلاك والكواكب كما في الأعراف / ٥٤ ، ابراهيم / ٣٣ ، الأنبياء / ٣٣ ، فاطر / ١٣ ، الزمر / ٥ ، يس / ٣٨_ ٤٠ ، الرحمن / ٥ .

٣ _ في إبراز فاعليتهما كما في الكهف / ١٧ ، الإنسان / ١٣ /الاسراء / ٧٨ .

٤ _ ذكر أوقاتهما كما في الكهف /٨٦ _ ٩٠ ، الفرقان / ٤٥ ، ق / ٣٩ .

٥ _ بيان زوالهما عند قيام الساعة كما في نوح / ١٦ ، الانعام / ٧٨ ، النبأ / ١٣ .

فيبهرنا توافق هذا القانون (الإعجاز الموضعي) مع مختلف الموضوعات القرآنية ، ولا ريب بعد هذا أن نعد المعارف وحقول العلم من أهم مثبتات الإيمان ودوافع ترسيخه باتجاه بناء العقيدة السليمة فكرة ومنهاجا .

فالعلم لا يناقض الدين ، والدين ينمو في دوحة العلم ورياض المعرفة ، والبعلم يؤيد الدين ويدل بدلائله على وحدانية الخالق العظيم المعجز ، والدين يدعم ويثبت الكثير من الحقائق العلمية .

فآرانا سبحانه وتعالى عظمته وقوته ووحدانيته في دلائل خلقه التي هي آيات الله الباهرة التي أوردها القرآن بتجسيد لغوي بالغ الروعة .

فكانت الآراء والحقائق العلمية بجملتها آيات ناطقة وبراهين صادقة تفصح عما في هذه الأكوان من غريب الصنع وإتقان الخلق ٠

ونود في هذا البحث دراسة التناول القرآني وأسلوبية الطرح القرآني لبعض الجوانب العلمية التي وردت في القرّآن الكريم والتي تخص موضوعة النور والنار في محاولة للتدليل على أن لغة وألفاظ القرّآن الكريم لغة علمية كما هي لغة أدبية وشعرية وهي لغة واسعة مستوعبة للقضايا العلمية مواكبة للتطور العلمي ذلك أنها لغة اشتقاق قادرة على توليد صور لفظية وصيغ بنائية معبرة عن كل ذلك في إبداع أسلوبي معجز ٠

فليس من الغريب إذن أن يز خر القرآن بكثير من أسرار خلق الكون وقوانينه وحقائقه ونظامه في تسيير الكواكب والنجوم وأن يتحدث عن مفردات الطبيعة وتناسب خلقها في تآلف العناصر المكونة لها ٠

فوردت آيات تخص الظواهر الكونية والمناخية كالرياح والحرارة والضغط ، وآيات تضم ذكر الطبيعة كالماء والهواء والتراب التي هي عناصر الخلق فقد أكد القرآن أن خلق الإنسان والكائنات من ماء مهين ومن تراب وجعل الهواء سبيل التنفس والحياة لكل الكائنات ٠

وخلق الشيطان – إبليس – من نار ، ومن المؤكد أن الماء والهواء أصل النور ، وهذا ثابت علميا فالطاقة الكهربائية تولد من الماء والرياح (الهواء) وهما داخلان في خلق الإنسان والكائنات ٠

إذن ما بين النور والنار جدلية كبرى كماهي بين الحق والباطل ، الإيمان والكفر ، الضلال والهدى ، الصلاح والفساد ، الخير والشر ، الجنة والنار ٠

فالله عز وجل نور على نور وخلق من نوره أنوار السموات والأرض فجعل في السماء من صور النور الشمس والقمر والنجوم تطل بشعاع نورها على الأرض .

وخلق أنوار الأنبياء والرسل ، ونور القرآن ونور الحق ونور الجنة ، وفي مقابل ذلك خلق الشيطان من نار وعلم الإنسان إيقاد النار في الشجر الأخضر وجعل الشيطان يوسوس لبني آدم ليدخله النار وجعل العذاب صواعق من نار .

إذن النور والنار يمثلان ثنائية توازن كونية طبيعية ، دينية دنيوية . وكثيرة هي المفردات المعبرة عن هذه الجدلية الثنائية في القرآن الكريم ٠

وقد حاولنا بيان هذه الجدلية التي بين النور والنار بالمخطط الآتي :

اصل الذات العلوية (نور)

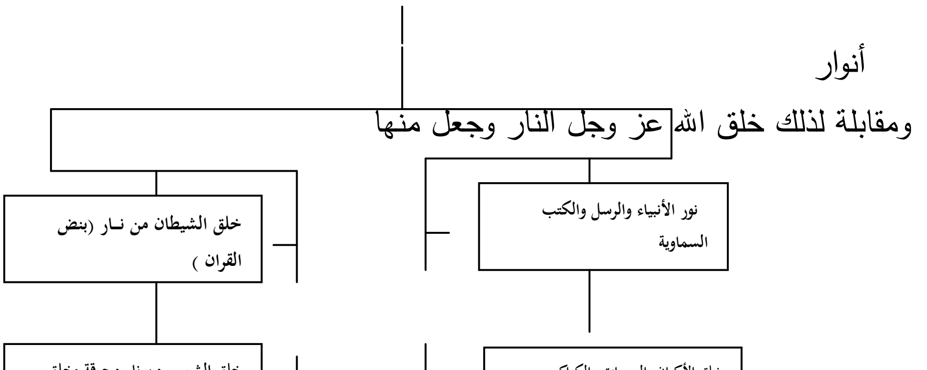
أنوار
ومقابلة لذلك خلق الله عز وجل النار وجعل منها
نور الأنبياء والرسل والكتب السماوية
خلق الشيطان من نار (بنض القران)

وتبعا لذلك حاولنا جرد الألفاظ المعبرة عن هذه الجدلية ، وقمنا بدراسة لغوية أسلوبية للآيات القرآنية التي هي ضمن نطاق البحث ، واتخذنا الترتيب الأبجدي سبيلا" لهذه الدراسة ليسهل على القارئ تتبع هذه الألفاظ بيسر" ودون عناء والله الموفق

الجحيم :

قال تعالى ((قالوا ابنوا له بنينا" فألقوه في الجحيم)) {الصافات /٩٧ }وقال : ((وإذا الجحيم سعرت)) {التكوير /١٢}و ((وبرزت الجحيم لمن يرى)) {النازعات /٣٦ }((فأن الجحيم هي المأوى)) { النازعات /٣٩ } ((كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين)) { التكاثر /٧,٥ } ((خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه)) { الحاقة /٣١ } ((والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحاب الجحيم)) {الحديد/١٩ } ((انهم أصحاب الجحيم)) {التوبة /١١٣ } ((ولا تسئل عن أصحاب الجحيم)) {البقرة /١١٩ }

وقال : ((وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم)) { الواقعة /٩٤ }((وأن الفجار لفي جحيم)) {الانفطار /١٤ } ((إن لدينا أنكالا" وجحيما")) { المزمل /١٢ } ٠

جاء في اللسان عن ابن سيدة : الجحيم النار الشديدة التأجج ، فهي تجحم جحوما أي توقدا" ، فأجحم الرجل دنا أن يهلكه ، والجاحم المكان شديد الحر ، وسميت بذلك جحمة العين إذا ما احمرت .

من جحمت وجحوما" : اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها (١).

يقال هو يتجاحم أي يتحرق حرصا وبخلا" ، وهو من الجحيم وأصله ما أشتد لهبه من النار وسميت النار جحيما" لعظمها من الحرارة وشدتها (١)٠ فكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم

---

(١)اللسان (جحم) ، الصحاح (جحم)

والمفسرون لم يبعدوا كثيرا" في المعنى ، فالزمخشري يقول : الجحيم النار الشديدة الوقود ، وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم [٢] ، وفي التبيان(الجحيم إذا شب وقودها) [٣] أو هي شدة حر النار وسرعة توقدها[٤] والبغوي[٥] يلخص المعنى يقول : الجحيم معظم النار ، ومن سياق الآيات الكريمات نجد أن الجحيم أكثر أسماء النار استعمالا" في الوعد والوعيد للكافرين المعاندين ، فقد جاءت تسع عشرة مرة في القرآن الكريم بعدد ملائكة النار حيث عدتهم تسعة عشر ملكا" ٠

قال تعالى ((لواحة للبشر عليها تسعة عشر)) {المدثر /٢٩ – ٣٠ } ٠

ولما أشتمل القرآن الكريم على أسلوب الترهيب والتخويف كانت الجحيم أكثر" ذكرا" لاختصاصها بالمكذبين الفجار المعاندين لآيات الله ، باعتبار أن الخطاب القرآني في أغلبه موجها" إليهم ٠

أما الهاوية فهي الدرك الأسفل وأختصت للغلظة من الكفار والمتجبرين ، فأعلى الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية[٦] ٠

---

[١] المقاييس (حجم)

[٢] الكشاف : ٣٤٧/٣

[٣] التبيان : ١٠٥/١

[٤] الحجة في القراءات :٣٦٦/١

[٥] تفسير اللغوي: ١١٠/١

[٦] ينظر تفسير القرطبي :٥ /٤٢٥

ولبيان شدة عناد هؤلاء وتمحلهم في الكفر والتكذيب اختار أن أوردهم جحيما"و هي نار عظيمة توافق كبرهم وتشددهم فالفرّاء يقول : الجحيم جمر على جمر ، وعن أبي عبيده النار المستحكمة المتلظية وأما الزجاج : هي النار الشديدة الوقود يقال جحم النار إذا شدد وقودها ومنه يقال لعين الأسد جحمة لشدة توقدها فيقال جحمت النار أجحمها إذا أكثرت لها الوقود(١) ،فضلا عن أن معنى الجحيم يحمل دلالة عظم النار ، نلحظ في عرض مشاهد الجحيم استعمال مختلف الأساليب للتعظيم والتهويل في هذه المشاهد الأخروية ، فنجد أسلوب الأمر مثل ((خذوه صلوه ، فألقوه ، فغلوه)) .

وأستعمل الأسلوب التوكيدي التقريري ، توكيد حقيقة الجحيم تلك النار العظيمة وتقريرها كحقيقة بارزة للعيان ، ومن هنا كثرت الجملة الاسمية التوكيدية (إن ومعولاها) و (كان ومعولاها) والجملة الاسمية الخبرية التي هي أثبت دلالة لعدم تقيدها بزمن ، كالجمل الفعلية ، وأدوات التوكيد كـ (لام المزحلقة للتوكيد) كما في قوله (لفي جحيم) ونون التوكيد في (لترونّ ، لترونّها) واللام في جواب الشرط وأسلوب الشرط بلو وان الشرطيتين ، كما وأستعمل صيغة الفعل الماضي المبني للمجهول مثل (برزت ، سعرت) والبناء للمجهول إطلاق للفعل من قيود الفاعل ، وصيغة الماضي هو توكيد لما لم يحدث بأنه حادث وواقع فعلا" لا محالة .

واستعمال إذا الشرطية الفجائية في قوله : ((إذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت))لافادت التهويل وإحداث المفاجئة في نفس المتلقي لتصطدم بهذه الحقيقة التي ترهب الإنسان وتقض مضجعه ٠

وإذا ما عرفنا الخطاب القرآني في سورة التكوير يحمل نسقا" موحدا" في استعمال إذا الفجائية حيث وردت أثنى عشرة مرة فأفادت التهويل والصعود بالمشهد الى أعلى مستويات الرهبة والإشعار بالخوف من الجحيم ٠

ومن بديع القرآن استعمال الوصف لما هو غيبي عقلي لهذه المشاهد ، يقربها الى المحسوس المنظور فقال : ((لترون الجحيم)) وهو جواب لو لأنه محقق الوقوع ، أو قد يكون جوابا" لقسم محذوف أكد به الوعيد فأوضح ما أنذرهم منه بعد إبهامه وقوله ((ثم لترونها)) تكرار أفاد التأكيد(٢) ٠

نلتمس هنا ثلاث مراتب من العلم ، حيث تحول من درجة الظن والعلم إلى اليقين وعن درجة اليقين الى حقه وعينه وقيل هدد المعرضين بثلاثة : يرون الجحيم ثم يرونها عين اليقين ويسألون عن النعيم (٣) . وقيل (لترون) قبل الدخول إلى النار والثاني بعد الدخول لذا قال عين اليقين ، أي : عيانا"(٤) وهذا تحول من رؤية القلب إلى رؤية العين أي : بمعنى أنها باليقين تتجسد وكأنها حقيقة ومن الأساليب التي تشد الأسماع استعمال الألفاظ بخلاف المعتاد والمعروف لإثارة التعجب والسخرية والاستنكار كقوله تعالى : ((فأهدوهم الى صراط الجحيم)) {الصافات / }فهو مثل لفظ البشارة في قوله ((فبشرهم بعذاب أليم)) ومثل ((يؤمنون بالجبت والطاغوت)) فهذا أظهر لأنه استعمال خلاف المشهور والمعهود(٥) فهو على سبيل التهكم ، إذ أن المعروف في الهدى الهداية الى الرشاد(٦) ، قال تعالى: و ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)) وهو الإرشاد والتوفيق ٠

---

(١) زاد المسير : ١٣/١

(٢) ينظر تفسير البيضاوي : ٥٢٤/٥ ، فتح القدير : ٤٨٩/٥

(٣) التبيان في أقسام القران : ١٥١/١

(٤) اسرار التكرار : ١ / ١٦٣

(٥) رسائل وفتاوى ابن تيمية : ١٦ / ١٤٥ .

(٦) معاني القرآن : ٢ /١٣١ .

ففي هذا الباب تستعمل الصيغة الفعلية للمؤمن والكافر ، والصيغة المصدرية (الهدى) اقترنت بالمؤمن ، وقد يعود ذلك إلى إن الهدى ثابت للمؤمن ، جاء بصيغة المصدر لاقترانه بوعده سبحانه أما العذاب فأقترن بصيغ متغيرة وهذا من رحمته سبحانه ٠

وفعل الهداية يتعدى باللام أو بالى وقد يتعدى بنفسه ، وفرقوا بين المتعدي بنفسه والمتعدي باللام فالأول الدلالة والثاني الإيصال وطلب الهداية من المهتدي ومعناه طلب الزيادة (١)كقوله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى)

وقال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومن خلال الجرد العام نلاحظ أنه عـرّف الجحيم في كل القرآن إلا ثلاثة مواضع – سنأتي على ذكرها آنفا" – ونرى أن سبب التعرف هو لارادة الاهتمام والتركيز ولتخصيص مقام الحديث عن الجحيم فالله عز وجل –عرفها لارادة الإظهار والإبراز ووصفها وأكد في وصفها وفصـّل وبالغ وقرر وهول حتى غدت معروفة لدينا ، فصدمتنا بحقيقتها وأدهشتنا وفأجئتنا وقد بلغ الغاية في التخويف حيث قدم ذكر (الجحيم) على (الجنة) فقال ((وإذا الجحيم سعرت ،وإذا الجنة أزلفت)) فمن يرى لهيبها وشدة تسعرها يتوق إلى الجنة ليتلذذ بنعيمها فهي قريبة منه إذا ما آمن وعمل صالحا" ٠

وبعد أن عرفت عرّف الكفار بنسبتهم إليها فنعتهم بالصحبة وقرن بينهما فقال ((أصحاب الجحيم)) وكررت هذه النسبة في التوبة،فكانت البراءة من المنافقين والكفار الذين هم أصحاب الجحيم.

ويبدو أن الجحيم لا يخص النار الأخروية وانما هي نار عظيمة ، قال تعالى على لسان قوم إبراهيم ((وقالوا ابنوا له بنيا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا" فجعلناهم الأسفلين)) {الصافات /٩٧ } وقال في {الأنبياء /٦٨-٧٠ } ((قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فعلين وأرادوا به كيدا" فجعلنهم الأخسرين))

ففي الصافات جئ بلفظ الجحيم ، أما في الأنبياء قال خرّقوه ولم يرد ذكر الجحيم . وقال في الأولى فجعلناهم الاسفلين أما في الثانية فقال فجعلناهم الاخسرين وكل قد ناسب مقامه ففي الصافات أتى بالجحيم لمّا كثر لفظ الجحيم في هذه السورة فقال في الآية {٥٥ } ((فأطلع فرءاه في سواء الجحيم)) وفي الآية{٦٨ } قال ((ثم أن مرجعهم لألى الجحيم)) وفي الآية { ٦٤ } ((إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم)) فناسب أن قال ((فألقوه في الجحيم)) في الآية { ٩٧ } أما في الأنبياء ورد ذكر النار قال تعالى ((لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم)) { الأنبياء /٣٩ }

وقال ((قلنا يا نار كوني بردا" وسلاما" على إبراهيم)) {٦٩ } وأقرب أوجه النار الإحراق وفسرت بذلك ، الجحيم : الحريق(٢) فضلا عن ذلك أن في الصافات كان تركيز الكلام على النار المعدّة لنبي الله إبراهيم (عليه السلام) فهي لعظمها جحيم وهذا تهويل وتعظيم لهذه النار التي أعدّها القوم ، أما في الأنبياء كان التركيز على إفشال هذه النار إذ جعلها الله عز وجل بردا" وسلاما" فقال (حرقوه) ولم يسم هذه النار تصغيرا" لها ولشأنها ، وقال مع الجحيم (القوه) والإلقاء متوافق دلاليا" مع الجحيم لأنها نار عظيمة فلم يقل(فأحرقوه في الجحيم) ثم أن في الصافات قال الاسفلين ، وفي الأنبياء قال الأخسرين لأنه في الثانية(جرت مكايدة بينهم فغلهم إبراهيم (عليه السلام) إذ كسر أصنامهم ولم يغلبوه لأنهم لم يبلغوا من إحراقه مرادهم فكانوا الاخسرين) (٣) فناسبت الخسارة إرادتهم النصرة ، أما في الصافات أرادوا رميه في الجحيم أي في أسفل النار التي أوقدوها فجعله الله هو الأعلى وجعلهم الاسفلين بمعنى أن الله تعالى غلبه

---

(١)

(٢)التبيان في اعراب القرآن : ٢ / ١٩٠

(٣)ينظر اسرار التكرار : ٢ / ١٤٢

عليهم في المقامين وأذلهم بين يديه ، إذ أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه وقهرهم فمالوا الى المكر فأبطل مكرهم وجعلهم الأذلين الاسفلين [١]٠

ومن المؤكد أن للتنكير موضعه و مقامه كما هو للتعريف مقامه ومسوغا ته فإذا ما لاحظنا آيات التنكير نجد أن مقام الاهتمام والتأكيد لا على الجحيم وانما ما يتعلق بها أو في دائرتها ، قال تعالى ((إن الفجار لفي جحيم)) ((إن لدينا أنكالا" وجحيما")) ((وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم)) ٠

فكان التركيز على الفجار في الانفطار والتصلية في الواقعة والانكال في المزمل ومن ثمة أن التنكير له دلالة الإبهام بخلاف التعريف الذي له دلالة التعيين والتخصيص يقال: الرجل يقصد به رجلا" بعينه ولكن إذا قيل : رجل فنحن نبهم ولا نقصد رجلا" بعينه ، والإبهام أكثر أثارة للفزع والهلع في النفوس .

الجذوة :

جاءت الجذوة في موضع واحد من القرآن الكريم قال تعالى ((فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا" قال لأهله امكثوا اني ءانست نارا" لعلي ءاتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون { القصص /٢٩ }٠

الجذ :كسر الشيء الصلب ، جذذت الشيء كسرته وقطعته ، والجذاذ والجذاذ ما كسر منه وضمه أفصح من كسره ، وقيل الجذ: القطع المستأصل جاء في التنزيل ((عطاء غير مجذوذ)) {هود / ١٠٨ }وجاء ((فجعلهم جذاذا")) أي حطاما[٢] .

---

[١] الكشاف : ٣ / ٣٤٧ .

[٢] مختار الصحاح (جذ) .

والجذاذ :القطع المكسرة ويقال لحجارة الذهب : جذاذا" لأنها تكسر [١] ٠

والجذوة : القبسة من النار ، الجمرة القطعة الغليظة من الخشبة كان في طرفها نار او لم يكن [٢] وهي العود الغليظ أحد رأسيه جمرة ، وربما نجد أن أصحاب التفسير أكثر دقة في تفسيرهم فمنهم من فسرها بالجمرة الملتهبة[٣] . ومنهم من قال : جذوة من نار ، قطعة غليظة من الخشب في طرفها نار[٤] ليس فيها لهب والشهاب فيه لهب[٥] وعن أبي عبيدة الجذوة مثل الجذمة من أصل الشجرة [٦]

وقد يعني بها ما يبقى من الحطب بعد النار [٧] وهو رأي أحد المتأخرين

من هذه الآراء جميعا نستنتج الآتي :

الجذوة تعني توقد أصل الشئ سواء كان حجارة أو خشبة أو أي شئ يحتاج الى كسر ودلنا على هذا المعنى الأصل اللغوي الذي تقدم الحديث عنه ، ولذا نحن نقول جذوة الخشب ولا نقول قبس الخشب ، فالقبس هو الشعلة الخارجة من هذا الشيء المتوقد أما الجذوة فهي الشيء المتوقد أصلا" (وهي الشجرة) في الآية، ولما كانت الجذوة تدل على أصل الشجرة ناسب هنا ذكر لفظ الشجرة صراحة " بقوله (من الشجرة المباركة) وهذا يعني ليس بالإمكان استبدال لفظ الجذوة الدال على المؤنث (لأن الشجرة لفظ مؤنث) بلفظ القبس الدال على التذكير ولفظ الشجرة دال على التأنيث فالجذوة لها سياقها الخاص والقبس له سياقه الخاص أيضا" فحينما أستعمل لفظ القبس في سورة النمل لم يذكر لفظ الشجرة أيضا" ، فلما لم تذكر الشجرة في النص جئ بلفظ القبس في سورة طه والنمل ٠وسنحاول في محاور البحث إلقاء الضوء على فر وقات أخرى في معنى كل من القبس والشهاب والجذوة وكل في مقامه إن شاء الله تعالى .

جهنم :

قال تعالى ((كفى بجهنم سعيرا"))﴿ النساء /٥٥ ﴾ ((ولقد ذر أنا بجهنم كثيرا" من الجن والإنس)) ﴿الأعراف / ١٧٩ ﴾ و ((يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد)) ﴿ ق/ ٣٠ ﴾((وجاىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)) ﴿ الفجر /٢٣ ﴾ ((وأما القسطون فكانو ا لجهنم حطبا")) ﴿الجن / ١٥ ﴾ ((ومأواهم جهنم وبئس المهاد)) ﴿الرعد /١٨ ﴾((ذلك جزاؤهم جهنم بما كفرو ا وأتخذوا ءاياتي ورسلي هزوا")) ﴿ الكهف /١٠٦ ﴾((أو هم جهنم كلما خبت زدنهم سعيرا")) ﴿الإسراء /٩٧ ﴾

((وعرضنا جهنم يومئذ للكفرين عرضا")) ﴿ الكهف /١٠٠ ﴾٠

---

[١] اللسان (جذ)

[٢] متن اللغة : ١٢ / ٤٩٧

[٣] التعاريف : ١ / ٢٣٧ ، تفسير القرطبي : ١٣ / ٢٨١ .

[٤] معاني القرآن :٢ / ١٧٧

[٥] صحيح البخاري الجزء الخاص بالتفسير : ٤ /١٧٨٩

[٦] تفسير مجاهد : ٢ / ٤٨٥ ، زاد المسير :٦ / ٢١٨

[٧] روح المعاني : ٢ / ٧٢

الجيم والهاء والميم أصل يدل على خلاف البشاشة والطلاقة ، يقال رجل جهنم الوجه أي : كريهه [١] وعن ابن منظور : الجهم والجهيم من الوجوه، الغليظ في سماجة ، وجهم جهومة وجهامة ، وجهمه بجهمة أستقبله بوجه كريه[٢]ولابد أن إضافة النون إلى الأصل الثلاثي (جهم) أضاف معنى جديدا" إلى دلالته الأصلية وهي القبح والسماجة ، فالنون صوتيا" يتميز بالجهر وهو متوسط بين الشدة والرخاوة ، ويعرض النون من الظواهر اللغوية ما لا يشاركها فيه غيرها لسرعة تأثرها بما يجاورها من أصوات[٣] ، ولبعد مخرجها هي أكثر الحروف ميلا" الى الفناء في غيرها ، ومن هنا تميزت النون في القراءة القرآنية بخواص الإظهار بغنة والإخفاء والإدغام والقلب ٠

لكل ذلك سميت النون حرف الإخفاء ، فمادة (جن) [٤] مثلا" بكل مشتقاتها تحمل دلالة الاستتار مثل (جن الليل) ومنه الجن ضد الأنس سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى ، وأجن الشيء في صدره أكنه وأجنت المرأة ولدا" والجنين الولد ما دام في البطن ، والجنة بالضم ما استترت به من سلاح والمجن الترس الذي يتقى به في الحرب ، والجنة البستان الذي تكاثف شجره فأستتر ومنها الجنة سميت بذلك لأنها مخفية عنا مستترة عن العيان والجنان القلب سمي بذلك لانه يخفى ويستر ما في الصدور ، إذن فالجنة مخفية عنا ، وجهنم مخفية عنا ويوم الحشر يظهرها الله عز وجل .

فأضاف النون معنى الإخفاء والبعد مع الاحتفاظ بدلالة القبح والسماجة فأبن منظور يفسر جهنم ويقول : الجهنام ، القعر البعيد ، بئر جهنم بكسر الجيم بعيدة القعر وبه سميت النار لبعد قعرها[٥] ، ويقول الازهري :في جهنم قولان : قال يونس بن حبيب وأكثر النحويين جهنم أسم النار التي يعذب الله بها في الآخرة ، وهي أعجمية لا تجرى للتعريف والعجمة[٦] .

وقال آخرون : جهنم عربي سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها ، وأنما لم تجر لثقل التعريف وثقل التأثيث ، وهذه الصفتان أكسبتا اللفظ سعة وقوة في التعبير عن قبح وجهها وبعد قعرها وخفائه وبعده ، وفي المحشر تبرز للعيان وتعرض ويكشف عن وجهها الكريه ، فقال تعالى : ((وجاىء يومئذ بجهنم))

والمجيء هنا على حقيقته[٧] ، وقال هنا (جاء) لأنه عين [٨] أي: تقاد[٩] ، ولم يقل (أتى) لأن الأول في الجواهر والأعيان والثاني في المعاني والأزمان ولهذا أورد في قوله : ((ولمن جاء به حمل بعير)) (يوسف /٧٢)

---

[١] المقاييس (جهم) ، المفردات (جهم)

[٢] اللسان (جهم) ، متن اللغة (جهم)

[٣] الأصوات اللغوية : ٦٨ ، ٦٩

[٤] ينظر اللسان (جن)، المفردات (جن)

[٥] الصحاح (جهنم)

[٦] تهذيب اللغة (جهنم) ، اللسان (جهنم)

[٧] روح المعاني : ١٢٨/٣٠ ، تفسير البيضاوي : ٤٩٠/٥

[٨] البرهان : ٨١/٤

[٩] تفسير الطبري : ١٨٨/٣٠

و ((جاءوا على قميصه بدم كذب)) {يوسف /١٨ } وقال أيضا"((وجئ يومئذ بجهنم)) وفي أتى قال ((أتى أمر الله)) أي أتاها أمرنا وأما((جاء ربك))أي أمره المراد به أهوال القيامة و المشاهدة ، وكذا ((فإذا جاء أجلهم)) لان الأجل كالمشاهدة ولهذا عبر عنه بالحضور في قوله ((حضر أحدكم الموت)) { البقرة /١٨٠ } وفرق بين ((جئناك بما كانوا فيه يمترون)) {   /   }و ((أتيناك بالحق)) {   /   }لان الأول (العذاب) مشاهد مريء بخلاف الحق[1]، وأستعمل الماضي لأنه ملقى في الحقيقة[2] وعن الراغب : الإتيان بسهولة فهو أخص من مطلق المجيء قال ومنه قيل للسائل المار على وجهه (أتى) [3] .

وتزاد الألف لمعنى في نفس الكلمة ظاهر ففي (جاىء) زيدت الألف دليلا" على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء وقد عبر عنه بالماضي ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله فيستوي في علمنا ملكها وملكوتها في ذلك المجيء ومثله ((برزت الجحيم)) بخلاف الحال في قوله ((جيء بالنبيين والشهداء)) { الزمر/٦٩ } حيث لم تكتب الألف لأنه على المعروف في الدنيا ، وفي تأوله بمعنى البروز في المحشر وللتعظيم تثبت الألف[4] ، وجاءت جهنم في خمسة مواضع مجرورة بالفتحة بدلا" من الكسرة لكونها ممنوعة من الصرف ، ووردت منصوبة في موضع واحد ، ومرفوعة في ثلاثة مواضع ، والفتح يناسب حالة الإظهار والبروز التي تحدثنا عنها فالألف من الأصوات اللينة الخفيفة وتتميز بالوضوح في السمع إذا ما قيست بالأصوات الساكنة وهذا يتوافق والآيات التصويرية لمشاهد (جهنم) كيف يجئ بها مساقة وسؤالها بالأداة والجملة الفعلية وجوابها بالجملة الاسمية والأداة ذاتها مع حذف المبتدأ والتوكيد بـ (من) الزائدة والتي تزاد للتوكيد والتهويل ، أما الضم فله حق الثقل لذا وردت في الجمل الخبرية ، الإخبار عن الجزاء والمأوى قال : ((جزاؤهم جهنم)) فجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبره والجملة خبر المبتدأ الأول والعائد محذوف أي جزاؤهم به ويجوز أن ذلك مبتدأ وجزاؤهم بدل أو عطف بيان وجهنم خبر[5]، وقال ((مأواهم جهنم)) فقيد المأوى بالضمير والتقييد تحديد لجماعة الداخلين في حين أنه في مقام الحديث عن الجنة قال ((هي المأوى)) فأطلق الدلالة ولم يحدد وهذا من سعة رحمته وكذا هو في

الجز اء قال ((فله جزاء الحسنى)) {   /   } وفي مقام الكفار قال ((جزاؤهم جهنم)) أخيرا نقول أن لفظ   جهنم له دلالة القبح والبعد في الغور ويدل على معنى النار في الإحراق أو الإشعال أو التسعر لذا اقترنت (جهنم) بالسعير فقال : ((كفى بجهنم سعيرا")) أي تسعرا"وإحراقا" ، والسعير توقد النار[6]أي مسعورة يعذبون بها والمعنى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم[7] ، وقال ((ومأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا"))أي كلما قل لهيبها وخفّ من وطأ تسعرها زادها الله وهذا يدل على زيادة دائمة مستمرة ومعدّة للجزاء والمأوى

---

[1] ينظر الاتقان : ٥٧٠/١

[2] تفسير القرطبي : ١٧٣/١٨

[3] المفردات (اتى)

[4] ينظر البرهان : ١ / ٣٨٤

[5] التبيان في الاعراب : ١٠٩/٢

[6] معاني القران: ١١٦/٢ ، روح المعاني : ٥٨/٥ ، فتح القدير : ٤٧٨/١ ، زاد المسير : ١٢/٩

[7] تفسير البيضاوي : ٢٠٣/٢

الحـر :

جاء الحر في قوله تعالى ((والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال أكننا"وجعل لكم سر بيل تقيكم الحر وسربيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)) { النحل /٨١ } وقال :

((فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجهدوا بأمولهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا" لو كانوا يفقهون)){ التوبة /٨١ } .

وجاء الحرور في قوله تعالى: ((وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمت ولا النور ولا الظلّ ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموت ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور)) { فاطر /٢١ }٠

الحر ضد البرد، يحرّ حرا" وهو حر النهار والحرور حرّ الشمس وجمعها حرور بالضم واحارر[١] ، وقيل الحرور استيفاد الحر ولفحه [٢]، ومصدر الحرور يبس الكبد ، والكبد تحر من العطش او الحزن ومنه الحرة وهي أرض ذات حجارة سود نحزة كأنما احرقت بالنار[٣] وقيل الحرور الريح الحارة وأستحر القيظ أشتد حره ، والحرر اليبس اليبس عارض في الكبد من العطش[٤] واستعمل الحر في القرآن الكريم في الموضعين المذكورين بدلالته الحقيقية والذي هو ضد البرد غير أن من الملاحظ ربطه بالحرب فقال في النحل سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم والبأس هو الحرب وشدة القتال[٥]ولم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسير ا" محتملا" وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد مشهود عليه بالعرف[٦] .

وفي التوبة خص الذين أستأذنوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)من المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بقعودهم عن الغزو خلاف الرسول (ص) أي خلفه وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض[٧] ٠

فربط في الموضعين الحر في الطبيعة بحر القتال والحرب ونرى أن وجه الترابط تشابه النتائج لتوحد المسببات ، فالحر مما يجهد الإنسان بارتفاع درجة الحرارة فترتب على ذلك شعوره بالعطش والتعرق واليبس في الجلد وما الى ذلك ، والتوقي من الحر يتطلب مطاولة وصبرا" وهذا ما يتطلبه الإنسان في الحرب لان العوارض ذاتها تواجه المقاتل وهي العطش وبذل العرق واليبس أضف الى ذلك جهد القتال وإلا فحر جهنم أشد وأقوى ، وبنظرة فاحصة لقوله ((لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا")) نجد نوعا" من الترقي في درجات الحر فهناك حر الطبيعة بدلالة (الحر) وحر القتال بدلالة (لا تنفروا) ثم أشد الحر وهو حر جهنم الذي هو أضعاف مضاعفة ولما كان أضعافا" ضاعف الألفاظ المعبر بها عنه ،

---

[١] القاموس المحيط (حر)

[٢] اللسان (حر)

[٣] العين (حر

[٤] المفردات (حر)

[٥] أعراب القران :٢٩٨/١ ، تفسير الطبري:١٠١/٢ ، التفسير الكاشف : ٤٧٠/٢

[٦] الكشاف : ٢/ ٤٢٣

[٧] ينظر المصدر السابق : ٢٠٥/٢

فقال نار وأضاف جهنم لها وأستعمل أسلوب التفضيل بطريقة غير مباشرة الصيغة مع المصدر ، وكان من الممكن أن يقول : نار جهنم أحر ولكن للمضاعفة التي تحدثنا عنها قال أشد ثم أتى بالمصدر لثبوت حر جهنم دائما" وأبدا" ، فحر الدنيا يذهب وحر القتال يذهب وحر النار لايذهب ومن ثم عرّف حر الدنيا لمعرفتنا به ونكر حر جهنم لعدم معرفتنا به فخرجت العبارة على سبيل الاستجهال لان من تصون من مشقة ساعة وقع بذلك التصون في مشقة الأبد وهو أجهل الجهل . ولذا عبر عن نار جهنم بالحرور جاء في الدر المنثور(١) ((الظل الجنة ولا الحرور : النار)) وسمى الحر حرورا" مبالغة في شدة الحر لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى(٢) فالجنة ذات ظل دائم وأكلها دائم والنار حرّ دائم ثابت (٣) وبعض المفسرين فسروا الحرور بأنها الريح الحارة وأختلفوا في كونها ريح النهار أم الليل ٠

جاء في التبيان ((الحرور الريح الحارة تهب بالليل وقد تكون بالنهار والسموم بالنهار وقد تكون بالليل)) (٤) وقيل الحرور بالنهار مع الشمس وعن أبن عباس بالليل والسموم بالنهار وعن رؤبة الحرور بالليل خاصة والسموم بالنهار ونجد أنسب الأقوال رأى الفرّاء يقول : الحرور الحر الدائم ليلا" أو نهارا" والسموم بالنهار خاصة (٥)، وفسر قطرب ((الحرور الحر والظل البرد والمعنى أنه لا يستوي الظل الذي لا حر فيه ولا أذى والحر الذي يؤذي قيل اراد الثواب والعقاب)) (٦).

ويستفاد من هذه الآية تكرار الأمثال(٧) : الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور وما يستوي الأحياء والأموات فلا زائدة للتأكيد(٨) ((تأكيد نفي الاستواء وتكرارها على الشقتين لمزيد التأكيد ، والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا" والحرور ما تهب ليلا")) (٩)

ان تكرار الأمثال أفاد الموازنة بين طبيعة الكفر وطبيعةكل من العمى والظلمة والحرور وبين الإيمان وطبيعة كل من النور والبصر والظل والحياة يقول الفرّاء ((وما يستوي الأعمى عن الحق وهو الكافر ولا البصير بالهدى وهو المؤمن ولا الظلمات وهي الظلالات ولا النور وهو الهدى)) (١٠) فهذه كلها أمثال أي كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وانما جمع الظلمات وأفرد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق كما ان الظلمات مما يتعدد والنور لا عدد له قال تعالى ((الله نور السموت والأرض)) {النور/ ٣٥ }

الحطب :

---

(١)الدار المنثور : ١٨/٨ وينظر دقائق التفسير : ٣٦٨/٢

(٢)فتح القدير : ٣٤٦/٤

(٣)تفسير القرطبي : ٣٤٠/١٤

(٤)التبيان في تفسير غريب القران : ٣٤٧/١

(٥)الجزء الخاص بالتفسير من صحيح البخاري : ١٨٠٥/٤ ،معاني القران : ٤٥١/٥

(٦)فتح القدير : ٣٤٦/٤

(٧)الاتقان : ١٨٣/٢

(٨)التبيان في اعراب القران : ٢٠٠/٢ن

(٩)ينظر في ظلال القران : ٢٩٣٩/٤

(١٠) تفسير البيضاوي : ٤١٧/٤ ، معاني القران : ٤٥٠/٥

قال تعالى ((وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)) { الجن / ١٥ } وقال ايضا : ((وامرأته حمالة الحطب)) {المسد/٤ } يقال : حطب يحطب حطبا واحتطب احتطابا ، والحطب معروف ما اعد من الشجر شبوبا للنار ، ويعني الحطب خاصة في لغة اليمن ، وقيل هو كل ما القي في النار من حطب وغيره يهيجها به(١).

وحطبت النار : اذا خبت فا لقيت عليها الحطب لتتقد . وهو ما تكسر من يابس(٢) وقوله : حمالة الحطب ،قصد بها ام ام جميل واسمها أروى بنت حرب بن امية أخت ابي سفيان كانت عونا لزوجها على كفره وجحوده (٣)،اذ كانت تحمل الشوك فتلقيه على طريق رسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) وطريق اصحابه ، و نصب على الذم ، اذ انها كانت تعير الرسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك(٤) .

ويرى بعض المفسرين ان وصفها بهذه الصفة لوجه الشبه بحملها النميمة فصيرها ان تكون حطبا لجهنم فالحطب اذن حطب جهنم اذ كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت توقد نار الخصومة (٥).

وقد شبه القرآن الكريم حمل الاوزار بالحمل على الظهر في قوله: ((وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ)) {فاطر/١٨ } اذن لا غرابة حينما قال (حمّالة الحطب) هو لا يريد الصورة الظاهرية وحسب انما اراد تقريب صورة هذه المرأة وهي تمشي بالنميمة وتحطب الكلام كما تحطب الشوك وفي جيدها ((حبل من مسد ليف المقل وهي سلسلة التي في النار)) (٦) .

وقد شبه الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) النميمة بالنار جاء في الحديث (اياكم والنميمة) فانها نار محرقة وان النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر(٧) .

فهي تمشي بالنميمة وفي جيدها الحبل ، وما تدري انها تمشي الى النار وتسحب بحبلها الى جهنم لتكون حطبا لها ٠

والاتيان بالعبارات على خلاف التركيب الاعرابي المعتاد يؤدي الى اختلاف في التوجيه وبالاختلاف تنشأ المعاني ودلالات متعددة ٠

لنلاحظ جمال العبارة في رفع امرأته ونصب حمالة فعطف امرأته على المضمر في سيصلى ونصب (حمالة) على الشتم والذم ، ومن رفع فهو على اضمار (هي) ابتداء وقيل نصب على الحالية أي تحمل حطب جهنم كالزقوم والضريع (٨)

---

(١) اللسان (الحطب) ، القاموس (الحطب)

(٢) تفسير القرطبي : ٢٥٦/٣

(٣) تفسير ابن كثير : ١٥٦٥/٤

(٤) اللسان (حطب) ، مجاز القران : ٣١٣/٢ ، الاتقان : ١٨٨/٢ تفسير ابن كثير : ٥٦٥/٤ البرهان : ١٩٨/٣ ، تفسير الطبري : ٣٣٩/٣

(٥) الاتقان : ١٣٠/٢ ، تفسير البيضاوي :

(٦) صحيح البخاري الجزء الخاص بالتفسير : ١٩٠٣/٤٠

(٧) تفسير القرطبي : ٢٢٩/٢٠

(٨) ينظر مشكل اعراب القران : ٨٥١/٢ ، تفسير مجاهد : ٧٩٣/٢

وقرىء الحطب بالضم وهو لغة في الحطب والجيد ان يكون مصدرا بمعنى التوقد(١)

وقيل حصب جهنم قي قوله: ((انكم وما تعبدون من دون اللهحصب جهنم انتم لها وردون)) {الانبياء /٩٨ } يعنى الحطب بلغة قريش وكل شيء القيته في النار فقد حصبتها به ويقال حصب جهنم حطبها بالحبيشة(٢) . وفي اللغة هو الحجارة وكل ما ترمى به النار(٣) ويبدو ان الرابط بين الحطب والحصب هو انهما وقود لجهنم ٠

الحطمة : قال تعالى في سورة الهمزة ((كلا لينبذن في الحطمة وما ادرك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة)) {الهمزة / ٤، ٥ ، ٦ ، ٧ }

الحطم : الحطم الكسر في أي وجه كان وقيل هو كسر الشيء اليابس خاصة كالعظم ونحوه ٠

حطمه يحطمه حطما أي : كسره وحطمه فانحطم وتحطم والحطمة والحطام ما تحطم من ذلك قال الازهري : الحطام ما تكسر من اليبس والتحطيم التكسير(٤)وفي المفردات :(الحطم الهشم ثم استعمل لكل كسر متناه) (٥) وهو معنى ادق ادق دلالة فالحطم انما هو تكسير واكثر بجعل اجزائهدأق صغرا و أنعم قطعا ٠

ورجل حطمة كثير الاكل وابل حطمة وغنم حطمة كثيرة تحطم الارض بخفافها وتحطم شجرها وبقلها فتحطم كل شيء(٦) ٠

والحطمة من أبنية المبالغة وهو الذي يكثر منه الحطم ومنه سميت النار الحطمة لانها تحطم كل شيء فصارت اسم من اسماء النار اذ انها تحطم ما يلقى فيها وتجعله حطاما أي متحطما متكسرا .

ورجل حطم وحطم لا يشبع لانه يحطم كل شيء وكذا هي النار اذ انها لا تشبع وتقول هل من مزيد ٠

اذن فالهشم المتناهي والكثرة والمبالغة وعدم الشبع هو وجه الشبه بين الدلالة اللغوية الحقيقية للحطم ودلالة الحطمة الذي هو اسم للنار ٠

وهو وجه الشبه بين الحطمة والهمزة اللمزة المخصوصين بالذكر في اية سابقة ٠

واختلف المفسرون في تعيين الهمزة اللمزة ، فعن ابن عباس : هم المشاءؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وعن عطاء : الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل الذي يغتابه من خلفه اذا غاب قال تعالى ((ومنهم من يلمزك في الصدقت)) (التوبة /٥٨) اما عن مقاتل الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة الذي يغتاب في الوجه

---

[١] التبيان في اعراب القران : ١٢٥/١

[٢] التبيان في تفسير غريب القران : ٢٩٨/١

[٣] للسان (حصب) مختار الصحاح (حصب)

[٤] اللسان (حطم) ، القاموس المحيط (حطم)

[٥] المفردات (حطم)

[٦] اللسان (حطم) المفردات (حطم) وينظر مجاز القران : ٣١١/٢

وقال قتادة ومجاهد : الهمزة الطّعان في الناس واللمزة الطّعان في انسابهم وقال ابو زيد : الهامز الذي يهمز الناس ويضر بهم واللمزة الذي يلمزك بلسانه ويعيبهم ، وعن سفيان الثوري : يهمز بلسانه ويلمز بعينه ، وابن كيسان يقول : الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه[1]

من كل ما تقدم نتوصل من خلال هذه الاراء الى ان الهمزة اللمزة اسم وضع للمبالغة فالهامز يكثر من النميمة والاغتياب ولا يشبع منهما أبدا كما يقال (سخرة وضحكة) الذي يسخر ويضحك بالناس ويكثر ، واصل الهمز الكسر والعض على الشيء بعنف ومنه همز الحرف ويقال همزت راسه وهمزت الجوز بكفي كسرته[2] .فالهمزة اذن يأكل ويعض بلحم اخيه المسلم ، والحطمة تحطم وتهشم وتكسر المنبوذين فيها

فالنهم الذي لا يشبع من النميمة مكانه نار نهمة لا تشبع ٠

ولما كان المعنى واحدا كان البناء موحدا وهو (بناء فعّلة) (همزة – لمزة – حطمة)

فالهمزة اللمزة من حيث البناء هي من موازاة الحطمة بناء ودلالة.

ثم ان هذا المشهد يمثل صورة للعذاب مادية ونفسية وصورة للنار حسية ومعنوية وقد لوحظ فيها التقابل بين الجرم وطريقة الجزاء وجو العقاب فصورة الهمزة اللمز ة الذي يدأب على الهزء بالناس وعلى لمزهم في انفسهم واعراضهم وهو يجمع المال فيظنه كفيلا بالخلود صورة هذا المتعالي السافر المستقوي بالمال تقابلها صورة المنبوذ المهمل المتردي في الحطمة التي تحطم كل ما يلقى فيها فتحطم كبرياءه وكيانه . وهي نار الله الموقدة واضافتها الى (الله) لفظ الجلالة بتخصيصها هكذا يوحي بانها نار فذة غير معهودة فيخلع عليها رهبة مفزعة رعيبة وهي تطلع على الافئدة التي تبعث منها الهمزة واللمزة وتكمن فيه السخرية والكبرياء والغرور وتكملة لصورة المحطم المنبوذ المهمل ٠٠٠٠٠ هذه النار مغلقة لا ينفذ منها احد ولا يسأل عنه فيها احد [3].

وتكثر في هذه السورة اساليب التوكيد ففي جرس الالفاظ تشديد مثل (عدّده ،كلاّ لينبذنّ ، ممددة) ثم ان هناك اسلوب الاجمال والابهام ثم سؤال الاستهوال ثم الاجابة والبيان .

الزجاجة : وردت في موضع واحد مكررة في القرآن الكريم قال تعالى ((الله نور السموت والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد في شجرة مبركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم نمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثل للناس والله بكل شيء عليم)) { النور/٣٥ }

اذا ما نظرنا في اصل الزاي والجيم (ز جّ) سنراه يدل على رقة في شيء[4] من ذلك زج السهم وجمعه زجاج يقال زججته جعلت له زجا" ٠

---

[1] تفسير القرطبي : ١٨٢/٢٠

[2] اللسان (همزة) ، مختار الصحاح (همز)

[3] في ظلال القرآن : ١٩٧٣/٦

[4] المقاييس : ٧/٣

وعن ابن سيدة : الزج الحديدة التي تركب في اسفل الرمح والسنان والجمع أزجاج وأزجة وزجاج وزججة(١) ٠

والزجج دقة الحاجبين وحسنهما (٢) وخلاصة المعنى : الدقة والرقة مع الحسن ٠

الا ان ابن منظور يمدنا بمعنى اخر يستفاد من هذه المادة يقول : وأزج الخطو واسعه يقال للظليم اذا عدا : زج برجليه ، والزجج في النعامة طول ساقها وتباعد خطوها (٣).

فأضيف الى معنى الدقة والرقة والحسن معنى السعة والتباعد ومن هنا سمي المصباح زجاجة لاعطاء هذا النور معنى الرقة والحسن والتسامي مع سعة وانتشار وبهجة وصفاء .

وقد نتلمس هذه السبحات الجمالية من خلال الاعجاز اللغوي في اختيار الالفاظ والتناسق اللغوي في ذلك التناغم المنبعث من هذه الانتقالات ما بين التعريف والتنكير ما بين الابهام والتحديد فالابهام يعد انطلاق وسعة للدلالات والمعاني والتحديد تركيز للمعنى وتخصيص لنرى :

المشكاة نكرة : ومصباح نكرة والمصباح معرفة وزجاجة نكرة والزجاجة معرفة وكوكب دري نكرة وشجرة زيتونة نكرة فما يكاد النص العجيب يتجلى حتى يفيض الكون بالنور الهادىء الوضىء يفيض على المشاعر والجوانح وينسكب في الحنايا والجوانح حتى يسبح الكون كله في فيض النور الباهر وحتى تعانقه وترشفه العيون والبصائر وحتى تنزاح الحجب وتشف القلوب وترف الارواح ويسبح كل شيء في الفيض الغامر ويتطهر كل شيء في بحر النور(٤)

(الله نور السموات والارض) ،ولنلاحظ هذا الانتقال الا عظم اولا ٠

من عرض السموات والارض ومن الانوار الملكوتية الى المشكاة : وهي الكوة الصغيرة في الجدار غير النافذة (٥) يوضع فيها المصباح فتحصر نوره وتجمعه فيبدو قويا متألقا (٦).

والمشكاة تقرب للادر اك المحدود صورة غير المحدود فينتقل به من النموذج الكبير الذي لا يدركه البصر الى النموذج المصغر الذي يتأمله الحس ٠

ثم تأتي الانتقالات تباعا من المشكاة التي لا نعرف كنهها (لانها لفظ نكرة مبهم) الى مصباح وهو اكثر تقريبا الا انه مبهم هو الاخر ثم (المصباح) يحدد كنهه زجاجة والزجاجة اكثر تقريبا ٠

والزجاجة هي تعريف المصباح وفي الوقت ذاته تحتاج الى تحديد وتخصيص لماهيتها ٠

---

(١)اللسان : (زج)

(٢)الصحاح (زج

(٣)اللسان (زج)

(٤)في ظلال القران : ٢٥١٩/٤

(٥)تاج العروس (   )

(٦)قيل المصباح : سراج ضخم وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة في زجاجة في قنديل من الزجاج وكانها كوكب دري مضيء متلالىء كالزهرة في صفاته وزهرته ينظر تفسير البيضاوي : ١٨٨/٤ ، تفسير ابي السعود: ١٧٦/٦

فالزجاجة رائقة سنية منيرة ولكن كل هذا بذاتها لان الزجاجة كأنها كوكب دري ونوره طبيعي بذاته وبعد هذا هو لا يحتاج الى اظهار وابراز لانه ذروة في الوصف والحسن ثم عاد وانتقل – وهذه المرة – من النموذج الصغير (الزجاجة) الى النموذج الكبير (الكوكب الدري) وكما بدأ بالفكرة انتهى بها ، بدأ بنكرة وانتهى بنكرة ، لنرى

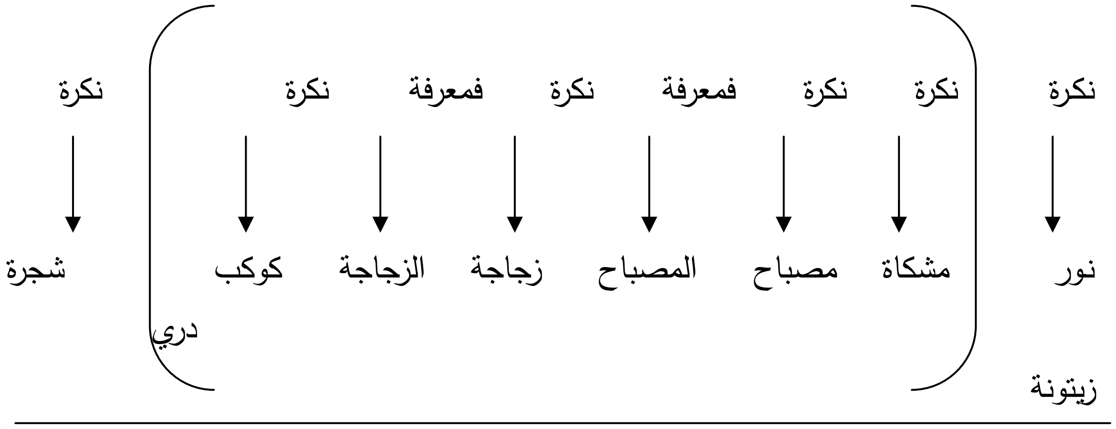

وكأننا بالنكرة توحيد وافراد والنكرة فالمعرفة ثنائية وهذه الثنائية المكررة افادت التضعيف والتكثيف والتكثير للنور حتى يصل الى مستوى الكوكب الدري في الاشعاع والصفاء الى الشجرة الزيتونة في القدسية والبهاء ٠

والكوكب بدوره يصل الى مستوى النور الملكوتي وليس هذا وحسب وانما تتضاعف الانوار يقول عز وجل ((نور على نور))

يقول القرطبي : كوكب دري يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك وهذا التأويل ابلغ في التعاون على النور اذ اجتمع ضوء المشكاة وضوء المصباح (مرتين) الى ضوء الزجاجة (مرتين) الى ضوء الكوكب الى ضوء الزيت فصار لذلك نورا" على نور(١) .

ان هذا الترقي غاية في الاعجاز والجمال والتقارب بين النموذج والاصل حين يرتقي شيئا" فشيئا" من النور الملكوتي (الفيض الشامل) الى المشكاة فالمصباح فالزجاجة ومن الزجاجة الرقيقة الى الكوكب الكبير ٠

السـراج :ورد السراج اربع مرات في القرآن الكريم وهذه المواضع هي في قوله تعالى ((تبارك الذي جعل في السماء بروجا" وجعل فيها سر جا" وقمرا" منيرا")) { الفرقان /٦١ }وقوله ((يا ايها النبي انا أرسلنك شهدا" ومبشرا" ونذيرا" وداعيا" الى الله بأذنه وسراجا" منيرا")) { الأحزاب /٤٦ }وقوله ((وجعل القمر فيهن نورا" وجعل الشمس سراجا")) { نوح /١٦ } وقوله ((وبنينا فوقكم سبعا" شدادا" وجعلنا سراجا" وهاجا")) { النبأ / ١٣ } جاء في اللسان : السرج رحل الدابة معروف والجمع سروج واسرجها اسراجا" وضع عليها السرج والسراج : المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل والجمع سروج واسرج السراج : اوقده (٢).

ويبدو ان الرابط اللغوي الذي يجمع السرج والسراج موجود لكن الرابط المعنوي الدلالي يبينه ابن فارس في قوله : إن السين والراء والجيم اصل صحيح يدل على الحسن والزينة والجمال من ذلك السراج سمي لضيائه وحسنه ومنه السرج للدابة هو زينته ويقال سرّج الله وجهه أي :حسّنه كأنه جعله له كالسراج (٣)

---

(١)تفسير القرطبي : **٢٥٧/١٢**

(٢)اللسان (سرج) ، مختار الصحاح (سرج)

(٣)المقاييس (سرج) : **١٥٦/٣**

والشمس سراج النهار أي زينته ونوره .

سمى القرآن الكريم الشمس سراجا"في ثلاثة مواضع وشبّه الرسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) بالسراج في الموضع الرابع وسنتحدث عن كل موضع (ان شاء الله) ٠

في الفرقان قدم السراج على القمر الذي وصفه بالانارة ، وفي نوح قدم القمر الموصوف بالنور وأخر الشمس، أما في الاحزاب والنبأ أفرد ذكر السراج ومرة وصفه بأنه منير ووهاج مرة ٠

وللوصول الى هذه النقاط الدقيقة في البحث نحلل أماكن ورود هذه الايات ونتتبع ترتيب السور ونلاحق موقع الاية من السورة وما يتقدمها وما يتبعها ٠

ان الترتيب سيكون في سورة الفرقان أولا" وفيها يتقدم السراج (الشمس)ثم تأتي سورة الاحزاب وفيها تشبيه الرسول (صلى الله عليه وسلم)بالسراج (وهذا افراد لذكر السراج)ثم تأتي سورة نوح الثالثة في الترتيب ويتقدم القمر ثم أخيرا" سورة النبأ وتقتصر على ذكر السراج (الشمس)

يوحي هذا الترتيب بازدواجية ثم افراد ،ازدواجية الشمس والقمر في الفرقان ونوح وافرادية في الاحزاب والنبأ ، فعن ماذا نتحدث هذه الازدواجية ؟

الازدواجية الاولى : تبرهن على تناسق وتجاوب صنعة الخالق في الكون ، فقد جعل الباري في السماء البروج ثم جعل في البروج الشمس والقمر يتحركان فيها تباعا" لنظام كوني لا يعتريه الخلل ولا الملل ٠

والبروج منازل الكواكب السيارة ومداراتها الفلكية الهائلة ، والفخامة هنا تقابل في الحس ذلك الاستخفاف في قولة المشركين (وما الرحمن) فهذا شيء من خلقه ، ضخم هائل عظيم في الحس وفي الحقيقة وفي هذه البروج تنزل الشمس ويسميها سراجا" لما تبعث به من ضوء الى ارضنا وفيها القمر المنير الذي يبعث بنوره الهادىء اللطيف ويعرض كذلك مشهد الليل والنهار وتعاقبهما وهما آيتان مكرورتان ينساهما الناس(١) .

اما الازدواجية الثانية : فلا تتضمن الحديث عن صنعة الكون والخلق وانما هي في معرض توجيه نوح (عليه السلام)لقومه اذ يدعوهم الى النظر في انفسهم وانكر عليهم ان يكون الله خلقهم وهم ينكرون ذلك ثم وجههم الى كتاب الكون المفتوح الى السموات كيف خلقها الله سبع سماوات طباقا" وجعل القمر فيهن نورا" والشمس سراجا" وهم يرون القمر ويرون الشمس ويرون ما يطلق عليه اسم السماء وهو هذا الفضاء ذو اللون الازرق ٠٠٠٠٠ هذا التوجيه يكفي لاثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة ٠٠٠ وهذا هو المقصود من ذلك التوجيه(٢).

من ذلك يتضح لنا ان في الازدواجية الاولى كان الحديث عن الطبيعة الكونية والمدارات والبروج التي خلقها الله فكان من الطبيعي تقديم الشمس لان الطبيعة تقتضي وجود النهار وظهور الشمس ومن ثم يخلفه الليل وظهور القمر حيث بيّن عز وجل هذه الحقيقة الكونية في الآية {٦٢ }من الفرقان يقول ((وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا")) ٠

في حين الازدواجية الثانية لم تقتفي اظهار هذه الحقائق الثابتة لان غاية ورودها التدبر والتطلع في هذا الخلق الفلكي الهائل فصار ان قدم ذكر القمر لانه ظاهرة كونية تثير التدبر فعلا" ٠

---

(١)ظلال القرآن : ٢٥٧٦/٥

(٢)المرجع نفسه : ٣٧١٤/٥

فاذا كنت ايها الانسان غافلا" منشغلا" بالمعاش عن تدبر خلق الشمس في نهارك فانظر الى القمر في ليلك الدامس كيف يزيل بنوره الظلمة ٠

اما الافراد في ايراد السراج (الشمس) ففي الاحزاب يقصد به الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) (١) ولما جيء به على التشبيه جاز وصفه بلفظ (منيرا") وهو من اوصاف القمر ونحن نعرف ان السراج لا يوقد الا ليلا" كما القمر لا يظهر الا ليلا"

اذن فالمراد هنا بالتشبيه ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو كالقمر في الظلمة العتماء(٢)

والقرطبي يبعد كثيرا" في توجيه معنى (منيرا") باعتبار السراج على الحقيقة يقول : سراجا" منيرا" أي : يستضاء به من ظلم الظلالة ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته (٣).

وهذا يدل على أن هذا المفسر الكبير قد عمل تفكيره في تحليل وصف السراج بالانارة والا فالشمس لا توصف بذلك

فمن دلالة الوصف عرفنا الرمز أي : من صفة (منيرا") عرفنا ان المراد بالسراج القمر .

ولما كان يريد هنا القمر لماذا قال سراجا" وليس قمرا" وتنتهي المسألة ؟

فيما نعتقد – والعلم عند الله – انه (صلى الله عليه وسلم) نور كالقمر لكنه نور ذاتي وليس نورا" مكتسبا " هو كالشمس ذاتا" وكالقمر في البهاء ٠

وفي النبأ ستكون دلالة الوصف (وهاجا") دليلا" على ان المراد بالسراج الشمس ٠

ولم يرد ذكر القمر حتى وان ذكر الليل والنهار فيما يتقدم من الايات ٠

وربما هنا تحققت الازدواجية التي تحدثنا عنها ولكن هذه المرة ازدواجية متطابقة القمر سراج الليل او الظلمة والشمس سراج النهار ٠

يوحي هذا الترتيب بازدواجية ثم افراد ،ازدواجية الشمس والقمر في الفرقان ونوح وافرادية في الاحزاب والنبأ وهذا يلفت نظرنا الى :

١ _هناك عدّ تنازلي في الترتيب الرقمي للآيات ، لنلاحظ الترقيم : ٦١ ، ٤٦ ، ١٦ ، ١٣

٢ ان الحساب الرقمي في القرآن الكريم هو من بديع واعجاز الباري عزّ وجلّ ، فاذا ما جمعنا رقم آيتي نوح والفرقان في الاية ٦٢ والتي هي تبع للاية ٦١ والتي يقول فيها عز وجل ((وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا))

---

(١)ومنهم فسره بالكتاب يقول القرطبي : سراج منير أي كتاب نير ، انظر ص ٢٠١/١٤
معاني القرآن : ٣٥٨/٥ ، فتح القدير : ٢٨٨/٤

(٢)تفسير البيضاوي : ٣٧٩/٤

(٣)تفسير القرطبي : ٢٠١/١٤ – ٢٠٢

فسيكون الناتج ٧٨ وهو رقم سورة النبأ اما اذا نقصنا رقمي اية الاحزاب من اية النبأ فسيكون الناتج ٣٣ وهو رقم سورة الاحزاب وهاتان الايتان تفيدان الافراد والافراد يدل على التوحيد.

٣_تلمسنا ازدواجيتين متصلتين وازدواجية منفصلة وبجمعهما يكون الناتج الرقم ٦ وهو عدد الايام التي خلق الله عزّ وجلّ السماوات والارض .

سعـر : من الفاظه (سعير وسعر) قال تعالى ((كلما خبت زدنهم سعيرا")) {الاسراء /٩٧ } وقال تعالى ((فقالوا ابشرا"منا و حدا" نتبعه انا اذا لفي ظلل وسـعر)) {القمر / ٢٤ }

يقال : سعر النار والحرب يسعرها سعرا" واسعرها وسعرها : اوقدها وهيجها ٠

ونار سعير ، مسعورة ، وقوله ((وكفى بجنهم سعيرا")) { النساء/٥٥ } قال الاخفش هو مثل رهين وصريع لانك تقول : سعرت فهي مسعورة ، وسميت النار سعيرا (١)

ومنه قال تعالى ((فسحقا" لاصحاب السعير)) {الملك /١١ } أي : بعدا" لاصحاب النار وقيل لهبها وقوله (زدناهم سعيرا")أي " تأججا"(٢)، وعن القرطبي : نارا" تتلهب ، وعن ابن قتيبة : نار تتسعر أي : تتلهب ، وعن ابي عبيدة : وقودا"(٣) ، وعن محمد جواد مغنية أي : احتراقا" والتهابا" ، وهي على تقدير مضاف اليه في سورة النساء أي : كفى بسعير جهنم سعيرا (٤) وقولهم سعرت : أوقدت (٥)

والسعر ما يقوم عليه الثمن وقد يكون هناك اشتراك دلاليّ بين السعر والسعير فقد فسر ابن منظور قوله ((كفى بجهنم سعيرا")) أي : ثمنا"(٦) لما هم عليه من كفر وضلال في الدنيا وهذا الالتقاء الدلالي ليس ببعيد إذ انه تعالى شأنه جعل العلاقة بين المؤمنين وطلب الجنة التي هي من رضى الله علاقة تجارة بيع وشراء وهذا تؤكده كثير من النصوص القرآنية ومن امثلة ذلك قوله تعالى ((يرجون تجارة لن تبور)) { فاطر /٢٩ }

ولما كان الامر كذلك كانت الجنة ثمن الايمان والنار ثمن الكفـر ٠

والسعر جمع سعيرة أي :حرها يقال سعرت الرجل إذا حرّ جوفه واشتد جوعه وعطشه ، والسعر شهوة مع جوع .(٧)

وقيل السعر : الجنون وعلى ذلك يكون توجيه الاية في ضلال وسعر أي : في ضلال وجنون يقال ناقة مسعورة اذا كان بها جنون من سرعتها وهو من تسعرت النار : اذا التهبت يقال : ناقة مسعورة أي :

---

(١) **اللسان (سعر) الصحاح (سعر)**

(٢) **الكشاف : ٤٦٧/٢ ، تفسير الطبري : ١٠٥/١٥_ ٢٩ /٧٠**

(٣) القرطبي : **٣٣٤/١٠_١٨ /١١٤** ، تفسير غريب القرآن : **٢٦١** ،مجاز القرآن : **١ /١٣٠**

(٤) التفسير الكاشف : **٥ /٣٥٢** . وينظر إعراب القرآن : **١ / ٨٨**

(٥) غريب القرآن : **١٥**

(٦) اللسان (سعر)

(٧) ينظر مجاز القرآن : **٢ / ٢٤١** ، السان (سعر)

مجنونة في النشاط(١) وهو عن ابن عباس العذاب وعن الفرآء ومجاهد : البعد عن الحق (٢) وعلى هذا التوجيه يكون السعر ليس جمع سعيرة ،وقد نكره الفارسي يقول : لانهم إذا كانوا في النار لم يكونوا في ضلال لانه كشف لهم ، والازهري يقول : يقول : يجوز ان يكون معناه انا ان اتبعناه واطعناه فنحن في ضلال وفي عذاب مما يلزمنا(٣)

او ان اتبعناه فنحن في ضلال وجنون وهو أي فيه وجه لان الكفار لا يؤمنون بجنة ونار اصلا" فكيف يقولون بذلك (أي ان السعر يريدون بها النار) ٠

وعن ابن عباس السعر : الجنون بلغة غسان(٤) وعن الفر ّاء : الضلال ايضا"(٥) ٠

وقد عدّها من المترادفات يقول : اراد بالسعر : العناء والعذاب (٦)

ويبدو انه قول قتادة ، يقول الطبري : هو ان السعر العناء والعذاب ، وقد اشار القرطبي الى الوجه الاخر (الجنون) في لغة من اللغات(٧) يقول الشاعر :

تخال بها سعرا" اذا السفر هزها   ذميل وايقاع من السير متعب

فالسعر الجنون

وبشيء من الدقة في تتبع النصوص القرآنية أجد أن تفسير الفر ّاء هو الاقرب أي : (العذاب) مقارنة بأحوال الكفار وما هم عليه من العناء والصلف يتهمون الرسل بالجنون وهذا ما قرره القرآن قال تعالى ((فتولى بركنه وقال سحر أو مجنون)) {الذاريات / ٣٩ }هذا ينطبق على أغلب الرسل ولذا فمن المستبعد ان يتهموا انفسهم بذلك (الجنون) وانما كانوا عندما يسمعون قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) فانهم يتمنون الوان العذاب تصب عليهم اذا كان صادقا" ، قال تعالى
((فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصدقين)) {العنكبوت / ٢٩ }٠

وعلى هذا يظهر ان هناك تفريقا" واضحا" بين النار والسعير والجحيم والحريق ، ان السعير هو النار الملتهبة الحراقة ، اعني انها تسمى حريقا" في حال احراقها للاحراق يقال في العود نار وفي الحجر نار ولا يقال فيه سعير والحريق النار الملتهبة شيئا" واهلاكها له والسعير لا يقتضي الاهلاك للشيء وهذه هي نار جهنم تحرق وتنضج الجلود ولا تهلك الكافر بل يبقى ما شاء الله ٠

---

(١) غريب القرآن : ١١٥ ، تفسير القرطبي : ١٧ / ١٣٨ ، تفسير غريب القرآن : ٤٣٣

(٢) البحر المحيط : ١٨٠/٨ ، وينظر التفسير الكاشف : ١٩٤/٢٧

(٣) اللسان والتهذيب (سعر)

(٤) اللغات في القرآن : ٤٥

(٥) هذا الرأي في اللسان (سعر) والبيت كذلك

(٦) ينظر معاني القرآن : ١٠٨/٣

(٧) تفسير الطبري : ٥٩/٢٧ ونسب الجوهري هذا التفسير الى الفرّاء ، ينظر الصحاح

ولهذا يقال : وقع الحريق في موضع كذا ولا يقال وقع السعير فلا يقتضي قولك السعير ما يقتضيه الحريق ولهذا يقال : فلان مسعر حرب كأنه يشعلها ويلهبها ولا يقال : محرق حرب .

والجحيم نار على نار وحجر على حجر وجماحه شدة تلهبه وجاحم الحرب اشد موضع فيها ويقال لعين الاسد : جحمة لشدة توقدها واما جهنم فيفيد بعد القعر من قولك جهنام اذا كان بعيد القعر(١).

وبناء (فعيل) يتميز بطول المقطع الوسطي وطول المقطع يحقق البطيء المطلوب في التعبير عن الدلالات من الم النار والاحساس بها وكأننا نحس بلهبها يتصاعد ويستعر كما ان بناء (فعيل) له دلالة (ما يشتمل على ويحل في) فهو اصل بناء فعيلة فالطبيعة مثلا" تعنى ما يشتمل الانسان من خصائص فيه من الفطرة والسعير ما يشتمل الكافر من النار ولهبها فيحل به العذاب ويستعر فيها

اما بناء (فعل) فيتميز بقصر المقطع وضغط المعنى من خلال الثقل الحاصل من حركتي الضم وهذا تناسب مع المعنى (العذاب) اذانه يحل مرة واحدة وفجأة ٠

سقر : قال تعالى ((يوم يسحبون على وجوههم ذوقوا مس السقر)) {القمر / ٤٨ } وقال ايضا" ((سأصليه سقر ، وما ادرك ما سقر ، ما سلككم في سقر)) {المدثر/٢٦ ،٤٢,٢٧ }

السقر البعد ، وسقرته الشمس تسقره سقرا" : لوحته وآلمت دماغه بحرها وسقرات الشمس شدة وقعها ، ويوم مسقر ومصمقر : شديد الحر(٢).

فسميت النار بذلك لانها تذيب الاجسام والارواح وقيل هي من البعد (٣)

ووفقا" لهذا الاشتقاق اللغوي تكون سقر عربية خالصة منعت من الصرف للتعريف والتأنيث(٤) ، ولكن عن الجواليقي هي أعجمية علم للنار(٥)٠

وقيل ان هذه الاسماء هي طبقات النار او هي ابواب لها واختلفوا في ذلك الترتيب ، جاء في تفسير البيضاوي هي (سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم لضى الحطمة السعير سقر ثم الجحيم فالهاوية) (٦) ويؤكد القرطبي ان الهاوية هي الدرك الاسفل قال (الدرك الاسفل الهاوية وهي اعلى الدركات جهنم ثم لضى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية) (٧) وقال في موضع آخر (اسفلها جهنم ثم الحطمة وفوقها سقر وفوقها الهاوية وكل باب اشد حرا" من الذي يليه ، جهنم اعلى

---

(١) **ينظر الفروق اللغوية : ٣٠٦ – ٣٠٧ (بتصرف)**

(٢) اللسان (سقر) ، المفردات (سقر)

(٣) المصدر السابق (سقر) ، القاموس المحيط (سقر)

(٤) تفسير القرطبي : ١٤٧/١٧ ، المشكل : ٧٧٣/٢

(٥) الاتقان : ٤٠١/١ ، صحيح البخاري : ١٨٩٩/٤

(٦) تفسير البيضاوي : ٢٧٠/٥

(٧) تفسير القرطبي : ٤٢٥/٥

الدركات وهي مختصة بالعصاة في امة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعن عطاء سقر الطبق السادس) (١)

وقيل الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية(٢) ٠

وأيا" كان الترتيب نرى ان ذكر اسم النار (سقر) في هذه المواضع على وجه الخصوص دون غيره من الاسماء كالحطمة او ٠٠٠٠ الخ ٠

له مسوغه حيث نتلمس في القرآن دوما" ظاهرة تناصر الدلالات والمعاني مع تناصر الحروف والمقاطع ، حيث اننا نرى انه لما قال وجوههم ألزام ذكر سقر لانها تحرق الوجه خصوصا

يقول القرطبي (وانما سميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولوحته واحرقت وجهه) (٣)

وبما ان التلويح من معاني سقر قال (لواحة للبشر) { ٢٩ }واما كان من شأنها الاذابة قال (لا تبقى ولا تذر) {٢٨ }وهذا تفسير لحالها أي لا تترك لهم عظما" ثم يعادون خلقا" جديدا" فلا تذر ان تعاود احراقهم هكذا ابدا" قال مجاهد : لا تبقى من فيها حيا" ولا تذره ميتا" تحرقهم كلما جلدوا ، ولواحة للبشر : أي مغيرة من لاحه اذا غيره تلفح وجههم لفحة تدعها اشد سوادا" من الليل ، لاحه الحر والبرد والسقم اذا غير ه (٤).

ثم ان الذوق محله الوجه ، ولاشتمال الاحراق الوجه وكل الجسم اشتمل الذوق عموم الجلد ، فقال ، ذوقوا مس سقر ،فجمع حاستين لاثارة تركيز الانسان وادخل واحدة في الاخرى وهذا ما يسمى بتبادل الحواس كل ذلك لايصال دلالات لن تصل الينا بدرجة فائقة من الاحساس الا بالاستعمال غير المعتاد فذوقوا مس سقر على مجاز الكلام كقولنا كيف طعم الضرب يراد به اول ما نالني منها .

ولتصل كل هذه الدلالات نجد الاختيار المعتنى به للالفاظ والحروف تناصرها لاشاعة بلاغة متناهية ورصانة في التركيب ٠

فتوالي السينات ، والسين هو (صوت رخو مهموس ويتميز عند النطق به ان تقترب الاسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما الا منفذ ضيق جدا") (٥)كما ان معظم كتب القراءات تسميه مع الصاد والزاي باصوات الصفير(٦) وهذا الاحتكاك (للاسنان) والصفير المتوالي من (السينات) يشحن جو الاية بازيز النار فيطغى على جميع الحواس فلا يبقى في المسامع سوى صورة النار وكيف يسحبون وكيف يذابون ويلوحون ٠

كما ان احتكاك الاسنان عند النطق بالسين يقرب لنا صورة تلك الوجوه المكفهرة تصك بافواهها من الم العذاب وشدته ٠

---

(١)المصدر نفسه : ١٤٧/١٧

(٢)تفسير الطبري : ٣٥/١٤ ، الدر المنثور : ٨١/٥ ، زاد المسير : ٣٩٨/٨

(٣)تفسير القرطبي : ١٩ / ٧٧

(٤)تفسير الصغاني : ٢٦١/٣

(٥)الاصوات اللغوية : ٧٥

(٦)المرجع نفسه : ٧٤

ولنلاحظ التوافـق :

فمن السين في يسحبون الي السينين في(مس سقر) كون جسرا موصلا الى النار وقوله ((وما ادراك ما سقر)) كلمة تعظيم مبالغة في وصفها أي : وما اعلمك أي شيء(١) هي وكرر التساؤل في (ما سلككم في سقر) ووافق بين سقر والاسلاك كما وافق بين السحب وسقر . والاسلاك لا حيد فيه عن الطريق لانه يدل على نفوذ شيء في شيء فسلكه انفذته والمسلكة طرة تشق من ناحية الثوب وانما سميت بذلك لامتدادها وهي كالسكك(٢) ولذا فهو ادق دلالة من لو قال ادخلكم .

وقد تنبه العلماء الى شيء من ذلك جاء في البرهان ((ليس فيه كافان في كلمة واحدة لاحرف بينهما الا في موضعين في البقرة مناسككم وفي المدثر ماسلككم في سقر)) (٣)

فالمناسك لا حيد فيها وهي سكة من سكك الجنة ولنلاحظ المقطع (سكك) من لفظة مناسككم كما ان الطريق له سكة يسلك فيها المتقون وصولا الى الجنة كما ان الطريق الى النار له سكة يسلك فيها المجرمون وصولا الى سقر فاللفظ المستفاد من هذين المقطعين (السكة) ولكن شتان ما بين السكتين ، سكة الجنة وسكة النار.

---

(١)تفسير القرطبي : ٧٧/١٩

(٢)المقاييس: ٩٧/٣

(٣)البرهان : ٢٥٦/١

شعل :

الاشتعال ورد في القرآن الكريم بصيغة الفعل في قوله تعالى ((واشتعل الرأس شيبا")) { مريم / ٤ }
الشين والعين واللام كما جاء في المقاييس [١]، أصل صحيح يدل على انتشار وتفرق في الشيء الواحد في جوانبه يقال اشتعلت النار في الحطب واشتعلت النار وتشعلت : الهبها فالتهبت وتأججت في الحطب[٢] ٠ وبالاضافة الى معنى الانتشار والتفرق نضيف معنى السرعة يقال : اشعلنا الخيل في الاغارة أي : بثثناها وتفرق القوم شعاليل أي فرقا" كأنهم اشتعلوا ولذا جاء في التنزيل ((واشتعل الرأس شيبا")) ولم يقل أوقد او أي فعل آخر مثل انتشر الشيب او غير ذلك فاستعمل هذا الفعل لانه اكثر دلالة على السرعة في التأجج والتلهب وكثرة الاستفحال ، كما وانه الاشعال يكون في الشر والحقد والغيض والحرب وامور كأمثالها (الشيب) وقد اختص بالنار الدنيوية ولم يقل اوقد الرأس شيبا" ٠

اما أوقد فيستعمل في الشر والخير قال تعالى ((فأوقد لي يا هامان على الطين ٠٠٠٠)) وقال ((يوقد من شجرة زيتونة ٠٠٠٠))كما وان الايقاد ليس كدلالة الاشعال ويرى المفسرون ان هذه الاستعارة من أحسن و أجمل الاستعارات لانها استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس ، فالمستعار منه هو النار والمستعار له هو الشيب والوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب وكل ذلك محسوس وهو ابلغ مما قيل (اشتعل شيب الرأس لافادة عموم الشيب لجميع الرأس) [٣] ٠

فوجه الشبه الكثرة [٤]٠

غير اننا نرى جمال هذه العبارة لكونها عبارة تركيبية بلاغية فقد شبه أولا" الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا" ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا (عليه السلام)، ثم أسند الاشعال الى الرأس لافادة شموله ولزيادة تقريره بالاجمال والتفصيل ثانيا" ولمزيد تفخيمه بالتنكير [٥]٠

ومن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة لانه وجه التشبيه ليس البياض فقط وانما شبه باشعال النار لسرعتها فالاشتعال انتشار شعاع النار بسرعة ووما يزيد هذه السرعة مراعاة ادغام السين في الشين[٦] عند القراءة فسرعة اللسان هنا تساعد سرعة الاشتعال وتتابعه في الكثرة

فكأننا عند الانتهاء من العبارة نحس ونبصر ومضات الشيب في السواد وهي تنتشر كأنها ومضات النار في الليل ٠

ومما يفيض العبارة جمالا" نصب (شيبا") وتنكيرها ، واختلف العلماء في نصبها فقيل نصب على التمييز وهو رأي الزجاج ، وقيل هو مصدر في موضع الحال وقيل منصوب على المصدر من معنى اشتعل لانه

---

[١] المقاييس : ١٨٩/٣

[٢] اللسان (شعل)

[٣] الاتقان في علوم القرآن : ١٢٠/٢

[٤] معاني القرآن : ٣٠٨/٤

[٥] الكشاف : ٥٠٢/٣ ، تفسير ابي السعود : ٢٥٣/٥ وينظر روح المعاني :٦٠/١٦ ، زاد المسير: ١٣٦/٤

[٦] ينظر نفسير القرطبي : ٧٧/١١

معناها شاب[١] وهو رأي الأخفش ، والنحاس يرى قول الأخفش أولى لانه مشتق من فعل فالمصدر أولى به[٢] ، او نصب الشيب على التفسير[٣].

ومن المقطوع به ان المعاني الإعرابية يكون مسماها ابلغ معنى كالتمييز مع البدل في قوله أشتعل الرأس شيبا" فهو أبلغ من أشتعل شيب الرأس[٤].

الشمس والقمر :

١) قال تعالى ((هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا" وقدره منازل لتعلموا عدد السنين)) {يونس / ٥ }

٢) قال تعالى ((وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الايت لعلكم بلقاء ربكم توقنون)) } الرعد / ٢ }

٣) وقال تعالى ((وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)) {ابراهيم /٣٣ }

٤) قال تعالى ((الم ترالى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا" ثم جعلنا الشمس عليه دليلا")) {الفرقان / ٤٥ }

٥) وقال تعالى ((وسخر الشمس والقمر)) {العنكبوت / ٦١ }

٦) وقال تعالى ((يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى)) { فاطر /١٣ }

٧) قال تعالى ((و آية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرنه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)) {يس/٣٧-٣٨-٣٩-٤٠ }

٨) قال تعالى ((خلق السموت والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفر)) { الزمر/ ٥ }

٩) قال تعالى: ((الشمس والقمر بحسبان)) { الرحمن / ٥ }

١٠) قال تعالى ((وجعل القمر فيهن نورا" وجعل الشمس سراجا")) { نوح / ١٦ }

١١) قال تعالى: ((يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا" والشمس والقمر والنجوم مسخرت بأمره)) {الاعراف /٥٤ }

١٢) قال تعالى: ((فالق الاصباح وجعل الليل سكنا" والشمس والقمر حسبانا" ذلك تقدير العزيز العليم)) { الانعام /٩٦ }

---

[١] التبيان في اعراب القرآن : ٢ / ١١٠

[٢] تفسير القرطبي : ١١ / ٧٧

[٣] تفسير الطبري : ١٦ / ٤٦

[٤] البرهان في اعراب القرآن : ٢ / ١٢٠

١٣) قال تعالى :((وسخر لكم الليل والنهار والشمس و القمر كل في فلك يسبحـون)) {الانبياء /٣٣ }

١٤) قال تعالى: ((وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمروالنجوم مسخر ت بأمره)) {النحل /١٢ }

١٥) قال تعالى: ((والشمس وضحـها والقمر اذا تلـها والنهار اذا جلـها والليل اذا يغشـها)) {الشمس /١-٢ }

١٦) قال تعالى: ((ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون)) {فصلت /٣٧ }

١)قال : ((اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت)) {التكوير / ١-٢ }

٢)((اقتربت الساعة وانشق القمر)) { القمر / ١ }

٣) ((فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر)) {القيامة / ٧-٩ }

الشمس والقمر في اللغة : الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلة استقرار ، معروفة وسميت بذلك لانها غير مستقرة هي ابدا" ٠

ويقال للقرصة وللضوء المنتشر عنها ،وتجمع على شموس يقال شمس يومنا و أشمس اذا اشتدت شمسه ٠ والشموس من الدواب الذي لا يكاد يستقر وامرأة شموس اذا كانت تنفر من الريبة وبخلافها القمر أصله : القمرة وهي البياض ويجمع القمر على أقمار ، وسمي بذلك لانه يقر ضوء الكواكب وينور به ٠

واذا قيل القمران اريد الشمس والقمر ، و هما معرفان في القرآن الكريم دائما" وابدا" واقترن ذكرهما في أغلب الآيات الا في بعض المواضع ويمكن تقسيم اسباب الورود بالتالي :

١) في مواضع الطبيعة الكونية يردان معا" ٠

٢) في مواضع القسم يردان منفصلين ٠

٣) في مواضع تخص احدهما بالذكر فيردان منفصلين ٠

وقرن الشمس والقمر بآيتي الليل والنهار وقد عبّر عن هاتين الآيتين بمختلف الصيغ الفعلية منها : سخر، خلق ، جعل ، يولج ، تجري ، نسلخ ، الادراك والسبق التكوير ، يغشى ٠٠٠٠

فجاءت دلالات الخلق والجعل والتسخير والجريان للمستقر ، والايلاج ، والانسلاخ وعدم الادراك لاحداهما الاخر ، والتكوير ، والغشيان ، والطلب حثيثا" ٠

فكان الخلق للسموات والارض والليل والنهار ، والجعل للشمس والقمر ولم يستعمل احدهما مكان الاخر لان الخلق هو: التقدير (١) على غير مثال أما الجعل فهو التصبير والتحويل فجعل الشيء حوله وصيّره

---

(١)اللسان (خلق) ، مختار الصحاح (خلق)

بمعنى إنه خلق السموات والارض وصير فيها الشمس والقمر وخلق الليل والنهار وجعل فيهما الشمس والقمر ليدلان عليهما فلأنه صير الشمس كان النهار ولأنه صير القمر كان الليل ٠

والتسخير شمل آيتي الليل والنهار والشمس والقمر وهو بمعنى التذليل ،وسخّرته بمعنى قهرته من الفعل المتعدي ، وهو ان يضطهد ويكلف عملا" بلا اجرة(١) ، فالتسخير سياقه الى الغرض قهرا" قالوا : السخري هو الذي يقهر فيتسخر بأرادته(٢) ٠

وعبّر عن التسخير بصيغتي الفعل والاسم فقال : سخر ومسخرات ، أي : بصيغتي الثبات والتغيير ، بمعنى انهم مسخرون ولكن بارادته سبحانه ولو شاء الله لأبطل ذلك فقال مسخرات (بأمره) أي : وفقا لتقديره وتدبيره (عز وجّل)٠

وهما مسخران أي يجريان مجاريهما ، أي سخرا جاريين ، والنجوم مسخرات أي جاريات ، وسخر ما في السموات والارض هو تسخير الشمس والقمر وهو الانتفاع بهما في بلوغ منابتهم والاقتداء بها في مسالكهم ، اما تسخير ما في الارض بحارها وانهارها ودوابها وما الى ذلك (٣)٠

ونصب مسخرات على الحال ، وقرأ ابن عامر كلها بالرفع(٤) ٠

والمعنى خلقهن حال كونهن مذللات تابعات لتصرفه سبحانه فيهن بما شاء غير ممتنعات عليه جلّ شأنه كأنهن مميزات أمرنّ فانقدن فتسمية ذلك أمرا" على سبيل التشبيه والاستعارة ، أي : منقادة لارادته(٥)

فسخرهما وذللهما بالطلوع والأفول تقديرا" للآجال واتماما" للمنافع كل يجري لاجل مسمى الى يوم القيامة (٦).

وختم الآية الكريمة بقوله :((ان في ذلك لآيت لقوم يعقلون)) فجمع (الآية) هنا وفي الاية {٧٩ } وفي { فصلت /٣٧ } وافردهما في قوله ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون))

فالافراد على الوحدة ، والجمع فلموافقة (مسخرات) في الآيتين ، فوقعت الموافقة ٠

في اللفظ والمعنى ، اما التوحيد فلتوحيد المدلول عليه (٧)، فذكر آية الليل وقال نسلخ منه النهار المستعار منه السلخ الذي هو : الكشط ، كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل ٠

وهما حسيان مما يترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتب هنا امر عقلي(١).

---

(١) اللسان (سخر)

(٢) ينظر المفردات (سخر)

(٣) اللسان (سخر)

(٤) تفسير البيضاوي : ٣٦/٣ ، التبيان في اقسام القرآن : ٨٧/١

(٥) روح المعاني : ١٣٨/٨ ،وينظر كتب ور سائل وفتاوي ابن تيمية : ١٨٢/١٣

(٦) تفسير القرطبي : ٧٨/١٤

(٧) اسرار التكرار في القرآن : ١٢٠/١

وقيل السلخ بمعنى الاخراج ، يقال تسلخه سلخا" وسلوخا" بمعنى خرجت منه ، سلخه الله عن دينه بمعنى الاخراج(٢) ولكن لم تعبر الآية بالفعل (يخرج) كما قال ((يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)) ذلك ان الانسلاخ خروج الشيء عن الشيء وليس من الشيء هذا اولا" ، وثانيا" الانسلاخ سكون الشيء عن الشيء ان يبرأ منه ويزول عنه حالا" فحالا(٣)" حتى ازلته منه وخلصته فلم يبق منه شيء(٤) فالانسلاخ في هذا الموضع ابلغ من الانفصال والاخراج لما فيه زيادة بيان وهو غير النزع ايضا" ، فنزع ضوء الشمس عن الهواء ففاجأ الظلام كما لا يستقيم ان نقول كسرت لحصوله بغتة فحصول الظلام بعده في مدة قصيرة امر غير مترقب ويكفي من نفس السلخ دلالة على الاقتدار (٥)، اقتدار الباري عز وجل وتذلل المسلوخ وقهره كالشاة المسلوخة ٠

وربما قال نسلخ لما فيه من دلالة على اللون الاسود ، فيقال الجلد السالخ الاسود من الحيات ، أي شديد السواد ووافق ذلك قوله فاذا هم مظلمون أي داخلون في الظلمة يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجينا فاستعير لازالة الضو ء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله (٦).

والتعاقب هذا هو نتيجة لجريان الشمس وتقدير القمر في منازل دائما" وابدا" ٠

واختلفوا في تفسير المستقر ، فقالوا حينما تغرب الشمس تذهب حتى تسجد تحت العرش(٧) وقيل لمستقر أي : لمكان لا تجاوزه وقتا" ومحلا" وقيل لاجل قدر لها (٨)٠

او الى موضع قرارها او لحد لها مؤقت مقدر تنتهي اليه من فلكها اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا"مشرقا" ومغربا" مغربا" حتى تبلغ اقصاها فترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه (٩).

وقيل مستقرها الاجل الذي اقر الله عليه امرها في جريها عليه وهو اخر السنة او هو الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة (١٠) .

ومن هنا قرأ ابن عباس ((لا مستقر لها)) أي جارية لا تثبت في موضع واحد(١١) ، وهي قراءة ابن مسعود (١٢).

وجوز القرطبي(١) تقدير فعل يفسره المذكور ويجوز ان ترفع بالابتداءوالجملة في موضع خبر أي جارية ، والقمر رفعا" على الابتداءاو العطف على الليل يريد من آياته القمر ونصبا" بفعل يفسره

---

(١) الاتقان : ١٢١/٢ ، البرهان : ٤٤١/٣

(٢) تفسير القرطبي : ٧٢/٨-٢٦ ، الدر المنثور : ٥٥/٧ ، فتح القدير : ٣٦٩/٤

(٣) البرهان : ٤٣٦/٣

(٤) ينظر معاني القران : ٤٩٢/٥

(٥) روح المعاني : ١٠/٤

(٦) اللسان (سلخ)، وينظر الكشاف : ٣٢٢/٣

(٧) الاتقان : ٥٦٢/٢ ، صحيح البخاري الجزء الخاص بالتفسير : ١٨٠٦/١

(٨) ما دل عليه القرآن مما يضد الهيئة القويمة : ٧٣/١

(٩) الكشاف : ٣٢٢/٣ ، ما دل : ١١٩/١

(١٠) المصدر نفسه : ٣٢٢/٣

(١١) معاني القرآن : ٤٩٣/٥

(١٢) الكشاف : ٣٢٢/٣

(قدرناه) ولا بد في (قدرناه منازل) من تقدير مضاف بمعنى قدرنا مسيره منازل وهذه المنازل هي مواقع النجوم (٢).

وبعد ما قدر جري الشمس والقمر حدهما بقانون الحفظ فقال ((لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار)) وكما بدأ بآية الليل ختم بها ، واسند عدم الادراك بصفة الفعل الى الشمس والسبق بالصيغة الاسمية لليل ، فزاوج بين الشمس والقمر وبين الليل والنهار ومعناه : ان كل واحد منهما لا يدخل على الاخر في سلطانه فيطمس نوره بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى وقد يتبادر في الذهن انه : لم جعل الشمس غير مدركة والقمر غير سابق ؟ نقول : لأن الشمس بطيئة جديرة بأن توصف بالادراك والقمر لسرعته جديرا" بأن يوصف بالسبق ، فجعل الشمس التي هي ؟آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل

وانما نفي الادراك لأنه هو الذي يمكن ان يقع وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس فانه لا يقال ادرك السابق اللاحق ولكن ادرك اللاحق السابق (٣).

وان قال : إن النهار سابق الليل لزمه ان يكون مقتضى البلاغة ان يقال : ولا الليل يدرك النهار فان المتأخر اذا نفى ادراكه كان ابلغ من نفي سابقه مع الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف الى ان يجمع بين الشمس والقمر (٤)

وهذه المعاقبة الدؤبة لا تدع احدهما يجري في فلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه فلا يجيء الليل قبل انقضاءالنهار بل لكل حركة مقدرة ونهج معين لا يشركه فيه الاخر وذلك بتسخير مسخر وأمر وتدبير مدبر بهرت بحكمته العقول وأحاط علمه بكل دقيق جليل(٥)

وعن الضحاك : أي لا تجيء الشمس فيغلب ضوءها ضوء القمر ولا يطلع القمر فيخالط ضوءه ضوء الشمس ولا الليل سابق النهار أي لا يزول من قبل ان يجيء النهار .

ومن خلال ما تقدم يمكن ان نلخص آراء المفسرين في ثلاث :

رأي ابن عباس : اذا اجتمعا في السماء كان احدهما بين يدي الآخر فلا يشتركان في المنازل .

رأي مجاهد : لا يشبه ضوء احدهما ضوء الآخر .

رأي الفرّاء : لا يجتمع ضوءاحدهما مع الآخر فاذا جاء سلطان ذهب سلطان الآخر(٦)

ووصفا أي (الليل والنهار) بالولوج والتكوير .

فالولوج من ولج يلج ولوجا" ولجة : اذا دخل ومنه الوليجة أي : الدخيلة وأولجه ادخله وقولهم واتلج موالج دخل مداخل ، ورجل ولجة أي كثير الدخول (١)

---

(١)تفسير القرطبي : ٢٧/١٥

(٢)الكشاف : ٣٢٢/٣ – ٣٢٣

(٣)الكشاف : ٣٢٣/٣

(٤)المصدر نفسه : ٣٢٣/٣ – ٣٢٤

(٥)التبيان في اقسام القرآن : ١٠٣/١ ، وينظر القرطبي : ٣٢/١٥ ، البرهان : ٢٤١/٣

(٦)معاني القرآن : ٤٩٦/٥

فقوله يولج الليل في النهار ، ويولج النهار بسبب ان الله تعالى قادر على تغليب الامور بعضها على بعض: جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك(٢) .

وهذه المطابقة ، الاتيان بالشيء وضده كالليل والنهار ، والسواد والبياض ،اسلوب معروف في القرآن وهو مثل قوله ((هن لباس لكم وانتم لباس لهنّ لاهنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن)) و ((يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)) فيؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم (٣).

والايلاج ادخال الشيء في الشئ فيولج بعض مقدار الليل في النهار وبعض مقدار النهار في الليل وعلى غير المشهور يجعل الليل في المكان الذي كان فيه النهار ويجعل النهار في المكان الذي كان فيه الليل (٤).

فما نقص من اجزاء النهار زاد من اجزاء الليل وما نقص من اجزاء الليل زاد في اجزاء النهار بمعنى زيادة هذا في نقصان هذا ونقصان هذا في زيادة هذا (٥).

أي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه سبحانه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا" وقدم الليل على النهار لمناسبته لعالم الامكان المظلم من حيث امكانه الذاتي(٦) اما التكوير فمأخوذ من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها أي : جمعه والقاؤه وهو ان يلحق احدهما بالاخر وقيل تكوير الليل والنهار تغشية كل واحد منهما صاحبه .

ويقال زيادته أي يدخل هذا في ذلك وقوله ((اذا الشمس كورت)) أي جمع ضوءها ولف كما تلف العمامة .

وعن مجاهد اضمحلت وذهبت وقال الاخفش تلف فتمحى، وابو عبيدة مثله ،وعن ابن عباس : دهورت وغورت (٧)

والبيضاوي يقول : يغشى كل واحد منهما الاخر كأنه يلفه عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا" عليه كرورا" متتابعا" تتابع اكوار العمامة (١).

---

(١) ملخص هذه الاراء في زاد المسير : ٢٠/٧

(٢) اللسان (ولج)

(٣) الاتقان : ٢٤٩/٢

(٤) البرهان : ٢٤١/٣

(٥) ينظر تفسير الطبري : ١٢٤/٢٢ ، وينظر فتح التقدير : ٣٤٣/٤ ، زاد المسير : ١٦٠/٨

(٦) روح المعاني : ١٠٢/٢١

(٧) ينظر تفسير مجاهد : ٥٥٥/٢ ، تفسير القرطبي : ٢٣٤/١٥ ، الطبري: ١٩٢/٢٣

وغايره في الرأي الالوسي يقول : يغشى احدهما الاخر يذهب احدهما الاخر أي يلبسه مكانه فيصير اسودا" مظلما" بعد ان كان ابيضا" منيرا" فالمغشى حقيقة المكان ويجوز ان يكون المغشي الليل والنهار

على الاستعارة ويكون المكان ظرفا" والمقصود انه لما كان احدهما غاشيا" للآخر اشبهه اللباس الملفوف على لابسه في ستره اياه واشتماله عليه وتغطية به [٢].

ويبدو انه يريد من معنى التكوير حمل الشيء على القلب كأنه يقلب على قفاه والحال هكذا يقلب ثم يعاد ٠

واخيرا" نقول : ان كل صيغة دلالتها ومعناها وغايتها المراد التعبير عنها وليس الاختلاف في التعبير هو من قبيل الاختلاف اللفظي وانما هو اختلاف له غاياته ودلالاته التي لا غنى عنها ٠

والملاحظ مما تقدم تعدد الصور المعبرة عن آيتي الشمس والقمر وغاية ذلك اظهار قدرته الوصفية جل شأنه .

شواظ : قال تعالى ((يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)) { الرحمن / ٣٥ } وردت الشواظ في هذا الموضع فقط من القرآن الكريم وأصلها مأخوذ من شوظ ٠

والشواظ : اللهب الذي لا دخان فيه وقيل قطعة من نار ليس فيها نحاس[٣] ويبدو انه لم يستعمل من هذه المادة الا الشواظ ومتفق على معناها في كل المعاجم العربية فابن فارس يقول : الشين والواو والظاء كلمة واحدة صحيحة ، فالشواظ شواظ اللهب من النار لا دخان فيه [٤]

في حين نجد المفسرين يختلفون في تحديد ما هو الشواظ ، يقول ابن عباس : وغير اللهب الذي لا دخان له ، والنحاس : الدخان الذي لا لهب فيه ، وقال مجاهد : الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار والدخان جميعا " ٠

وقرأ ابن كثير بشواظ بكسر الشين والباقون بالضم لغتان [٥]يقول الفرّاء :اكثر القرّاء قرؤوا شواظ وكسر الحسن الشين كما قالوا لجماعة البقر صوار وصوار [٦]وفيما نعتقد ان المقصود بالشواظ هو ما يتطاير من النار كالشرر وغيره ، ويفسر ذلك قوله ونحاس فنحاس بالرفع عطف على الشواظ وقرأ ابن كثير ومجاهد بالخفض عطف على النار فمن قال ان الشواظ النار والدخان جميعا" فالجر في نحاس بين.

---

١) [١]تفسير البيضاوي : ٥٨/٥

[٢]روح المعاني : ١٠٢/٢١

[٣]ينظر تفسير مجاهد : ٥٥٥/٢ ، تفسير القرطبي : ٢٣٤/١٥ ، الطبري: ١٩٢/٢٣

[٤]تفسير البيضاوي : ٥٨/٥

[٥]روح المعاني : ٢٣٨/٢٣

[٦]اللسان (شواظ) ، الصحاح (شواظ)

فإما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الاعلى تقدير حذف موصوف فكأنه قال : يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس ، فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صلة لشيء وحذف شيء وحذف من لتقدم ذكرها وكما اختلف في قراءة الشواظ اختلف في النحاس فعن مسلم بن جندب قرأ (نحس) وقد يكون نحاس جمع نحس كصعب وصعاب ٠

وعلى القراءة الاولى نحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم ، قاله مجاهد : وعن ابن مسعود هو المهل وعن الضحاك هو دردي الزيت المغلي ، عن الكسائي هو النار التي لها ريح شديدة (١) .

شهب :

جاء في القرآن الكريم الشهاب في قوله تعالى ((الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)) {الحجر / ١٨ }وفي {الصافات /١٠ } قال تعالى ((الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب)) وتكرر ذات المعنى في قوله ((وانا كنا نقعد منها مقعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا" رصدا")) { الجن / ٩ }٠

وفي سورة {النمل/ ٧ } قال تعالى :((اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا" سئاتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون))

اما الشهب فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ((وان لمسنا السماء فوجدنها ملئت حرسا" شديدا" وشهبا")) { الجن / ٨ }

الشين والهاب والباء أصل واحد يدل على بياض في شيء من سواد ، لا تكون الشهبة خالصة بياضا" من ذلك الشهبة في الفرس هو بياض يخالطه سواد ، ويقال كتيبة شهباء اذا كانت عليها بياض الحديد ،ويقال لليوم ذي البرد والصّراد : أشهب(٢)٠

والشهاب : هو شعلة نار ساطعة وروى الازهري عن ابن السكيت الشهاب هو : العود الذي فيه نار ساطعة ويقال للكوكب الذي ينقض على اثر الشيطان بالليل شهاب(٣) وسمى الكوكب شهابا" لبريقه النار(٤) ، ويبدو لنا معنى آخر لهذه التسمية وهو : ان هذه الكواكب تتحرك وتنقض وتمضي وراء اثر الشياطين وسميت شهبا" لذلك حيث يقال للرجل الماضي في الحرب شهاب حرب أي ماض فيها على التشبيه بالكوكب في مضيه والجمع شهب وهي النجوم السبعة المعروفة بالدراري(٥)

---

(١) ينظر تفسير القرطبي : ١٧٢/١٧

(٢) المقاييس : ج٣/٢٢٠ ٠

(٣) اللسان (شهب)

(٤) فتح القدير : ٤٩/٥

(٥) اللسان (شهب) ، مختار الصحاح (شهب

وجاءالشهاب في كل المواقع من القرآن الكريم نكرة منونة موصوفة وتختلف صفته من موقع لآخر فمرة قال شهاب مبين ومرة شهاب ثاقب و أخرى قال شهابا" رصدا" وبشهاب قبس واخيرا" قال شهبا" من غير صفة ، وهذا يعني ان الشهب كواكب مبهمة غير معروفة بذاتها والله عز وجل جعلها تتبع الشياطين فهي ترصد او تترصد وتبين اثرها فيهم إما باخبالة أو افساده أو باحراقه أو تثقب .

ويبدو ان الشياطين تتسمع سمع السماء فلما بعث الله نبيه حرست السماء ومنعوا ٠

عن سعيد بن جبير : كانت الجن تستمع فلما رجعوا قالوا : ان هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الارض فقالوا : لا ندري أشر اريد بمن في الارض أو أراد بهم ربهم رشدا" ان يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم أو يعصوه فيهلكهم ٠

أو يكون التفسير : إنا لا ندري أعذابا" أراد الله أن ينزله بأهل الأرض يمنعه ايانا السمع من السماء ورجمه من استمع منها فيها بالشهب أم أراد ربهم رشدا الهدى بان يبعث منهم رسولا" مرشدا" يرشدهم الى الحق .(١)

وعلى هذا نجد أن الشهاب لا يقتل الشياطين وإنما هو كما وصفه القرآن يبين أثره فيه ٠

عن ابن عباس : إن الشهب لا تقتل ولكن تحرق وتخبل وتخرج من غير أن تقتل وفي هذه الحال فمن المرجح أن يكون الرمي بالشهب التي هي كواكب ثم يصير نارا" إذا أدرك الشيطان ويجوز أنهم يرمون بشعلة من نار الهواء فيخيل الينا أنه نجم يسري (٢)

والشهاب في قوله تعالى: ((إني آنست نارا" سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون {النمل /٧ } يدعم هذا المعنى أي : آتيكم بشعلة نار اقتبسها منها وذلك وفقا" لقراءة أهل البصرة والمدينة ،باضافة الشهاب الى القبس نجعل القبس بدلا" من الشهاب فهو بمنزلة قولنا (ولدار الاخرة) مما يضاف الى نفسه ، وقال البعض ان كان الشهاب هو القبس لم تجز الاضافة لان القبس هو نعت ولا يضاف الاسم الى نعته الا في قليل من الكلام جاء (وللدار الاخرة -وللدار الاخر ة) اما قراءة اهل الكوفة فهي بالتنوين (بشهاب قبس) وترك اضافته الى القبس ٠

يعنى أو آتيكم بشهاب مقتبس ٠

فاذا اريد بالشهاب انه غيرالقبس فالقراءة فيه بالاضافة لان معنى الكلام حينئذ ما بينا من أنه شعلة قبس فالشهاب نوع من القبس(٣) ، واذا اريد به انه هو القبس او انه نعت له فالصواب في الشهاب التنوين لان

---

(١)تفسير الطبري : ١١٠/٢٩ ، تفسير القرطبي : ١٢/١٩

(٢)فتح القدير : ١٢٦/٤

(٣)التبيان في اعراب القرآن : ١٧١/٢

الصحيح عند العرب ترك اضافة الاسم الى نعته والى نفسه ، بل اضافة الشيء الى غير نفسه وغير نعته ٠

صبح :

ان لهذه المادة اللغوية عدة اشتقاقات تدل على النور قسم منها يتضمن معنى النور بدلالة الفترة الزمنية وقسم آخر يتضمن معنى النور وحسب ٠

١) الفاظ تدل على معنى النور بدلالة المدة الزمنية مثل : الصبح ، الصباح ، الاصباح ٠
٢) الفاظ تدل على معنى النور مثل : المصباح ، المصابيح ٠

صبح : أول النهار والصبح الفجر والصباح نقيض المساء والجمع أصباح قال الفرّاء : إذا قيل الامساء والاصباح ، فهو جمع الصباح والمساء(١).

نستشف من ذلك أن الدلالة الزمنية اقترنت بهذه المادة اللغوية لاقترانها بوقت من أوقات النهار وليست لها دلالة في الأصل اللغوي ، إذ أن الصاد والباءوالحاء أصل واحد مطرد ، وهو لون من الالوان قالوا أصله الحمرة وسمي الصبح صبحا" لحمرته ، كما سمي المصباح مصباحا" لحمرته وكذلك قالوا : وجه الصبح ، والصباح نور النهار (٢)

وبدقة أكثر الصبح : هو الفجر والصباح : أول النهار ونقيض المساء قال تعالى :((فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون)) (٦٨ / ١٧ _ ٢١) ٠

يقال : أصبح القوم أي : دخلوا في الصباح جاء في القرآن :((وانكم لتمرون عليهم مصبحين)) {الصافات / ١٣٧ } وقال ((فاخذتهم الصيحة مصبحين)) {الحجر/ ٨٣ } أي اخذتهم الهلكة وقت دخولهم في الصباح (٣) (وليصرمنها مصبحين)) {القلم / ١٧ }هو حال من المضمر في ليصر منها المرفوع ولا خبر لاصبح في هذا لانها بمعنى داخلين في الاصباح (٤)

وورد لفظ الصبح في أربعة مواضع وهي :((ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)) {هود/٨١ }

و ((والصبح إذا أسفر)) { المدثر/٣٤ } و ((والصبح إذا تنفس)) { التكوير / ١٨ }.

أما الصباح فقد ورد مرة واحدة في قوله عز وجل :((فاذا نزل بساحتهم فسآء صباح المنذرين)) {الصافات/ ١٧٧ } والاصباح ورد مرة واحدة ايضا" قال تعالى :((فالق الاصباح وجعل الليل سكنا" والشمس والقمر حسبانا"ذلك تقدير العزيز العليم)) { الانعام / ٩٦ } فالصبح : الفجر عندها يكون اللون

---

(١) اللسان (صبح)

(٢) المقاييس : ٣٢٨/٣

(٣) فتح القدير : ١٤٠/٣

(٤) مشكل اعراب القرآن : ٧٤٩/٢

سوادا" مائلاالى الحمر ة وهو لون قريب الى الشهبة قال الأزهري : ولون الصبح الصادق يضرب الى الحمرة قليلا" كأنها لون الشفق الأول في أول الليل(١)٠

تتميز الآيات التي ورد فيها الصبح بجمال التعبير وتركيز في الأداء التعبيري فالسياق قصير واضح والكناية اللطيفة حاضرة في النفس فالصبح كأنه حي يتنفس بالنور إذا ما أضاء (٢)

وكما وصف بالإسفار هو الحسن في الإشراق يقال أسفر وجهه حسنا" أي : اشرق(٣)ما تقدم نستشف ان الصبح لم يستعمل للدلالة على وقت نزول العذاب حيث قال ((ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب)) وهذا توعد وليس اهلاك وحينما اراد القرآن التعبير عن نزول العذاب فعلا" قال مصبحين وقال ((فساء صباح المنذرين)) ٠

فيوم الصباح : يوم الغارة * والعرب تقول اذا انذرت بغارة من الخير تفجؤهم صباحا" وكل العذاب في القرآن الكريم ينزل صباحا" ليأخذهم فجأة وهم نائمون ٠

والصباح عند سيبويه لا يستعمل الاّ ظرفا" وهو ظرف غير متمكن وقد جاءفي لغة لخثعم اسما"(٤) وجمع الصباح الإصباح والإصباح قال تعالى ((فالق الإصباح))قال الفر ّاء : إذا قيل الامساء والإصباح فهو جمع المساء والصباح قال : ومثله الإبكار والأبكار ٠

وقرىء فلق الاصباح وهي قراءة شاذة ، فالإصباح مصدر أصبح ويقرأ بفتح الهمزة على أنه جمع كقفل وأقفال (٥)

وهذا يعني أن القرآن استعمله مصدرا" وسمي به الصبح أي : شاق عمودا" عن سواد الليل(٦)و على ذلك فالجملة خبرية بمعنى هو فالق ، ففالق خبر لمبتدأ محذوف ٠

والفلق يكون في الشيء الواحد المتحد الاجزاء قال تعالى ((فالق الحب والنوى)) { الانعام/٩٥ }

وبخلافه الفرق حيث يكون شيئين أو شيء واحد متفرق الأجزاء قال تعالى :((وإذ فرقنا بكم البحر)) {البقرة /٥٠ } أي :فلقناه (٧)ففلق الاصباح بنور الاصباح ذلك لان بحر العدم مملوء من الظلمة فشقه بأن أجرى فيه جدولا" من نوره قال الامام : فالق ظلمة العدم بصباح التكوين والايجاد وفالق الجمادية بصباح الحياة والعقل والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الادراك وفالق ظلمة الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة مدبر المحدثات والمبدعات (٨).

---

(١)اللسان (صبح)

(٢)في ظلال القرآن : ٣٨٠٢/٦ ، ينظر تفسير القرطبي : ٢٤٠/١٩ تفسير شبر : ٥٥٠

(٣)مختار الصحاح (سفر) ،

* قال تعالى ((فالمغيرات صبحا")) فكانوا اذا ارادوا الغارة سروا" ليلا" ويأتون العدو صبحا" لان ذلك وقت غفلة الناس ، تفسير القرطبي:٣٨/٢

(٤)اللسان (صبح)

(٥)تذكرة الاريب في تفسير الغريب : ١٦٤/١ ،التبيان في اعراب القرآن : ٢٤٥/١

(٦)تفسير النسفي : ٣٣٦/١ ، تفسير الطبري : ٢٨٣/٧ ، تفسير شبر : ١٦

(٧)غريب القرآن : ١٥٠

(٨)روح المعاني : ٢٥٧/٧

ونقول اخيرا" :

اننا اذا ما جمعنا مواضع ورود الصبح والاصباح والصباح سيكون الناتج رقم ٦ وهو عدد ايام خلق السموات والارض ٠

اما المصباح فهو السراج كما مرّ بنا آنفا ، وهو قرطه الذي تراه من القنديل وغيره (١)

وقد ورد مرتين في القرآن وجيء بجمعهّ مرتين ايضا" في قوله تعالى ((فقضاهن سبع سموت في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصبيح وحفظا" ذلك تقدير العزيز العليم)) {فصلت /١٢} وقوله :(ولقد زينا السماء الدنيا بمصبيح وجعلنها رجوما للشيطين واعتدنا لهم عذاب السعير)

{ الملك / ٥ } .

والذي قد يثيرنا ان عدد ورود لفظي المصباح والمصابيح بعدد ايام خلق السموات وقد أوضح ذلك القرآن بقوله :(في يومين) وهذا يدل على ان المصباح والمصابيح المذكورة في القرآن لها من الخصاصة والقدسية فهي ليست كالمصابيح الدنيوية وانما هي كونية ملكوتية ومصابيح النجوم : أعلام الكواكب واحدها مصبا ح ،وتسمى الكواكب مصابيح لاضاءتها(٢)وفيما يبدو أن الفعل (زينا) كان مسوغا" لاستعمال ذلك أن الزينة والحسن يناسب وجود (مصابيح) في السياق فليس من الجميل قولنا : ولقد زينا السماء بشهاب ثاقب ، او مبين أو ٠٠٠٠٠

وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها وقيل:أ الضمير ر اجع الى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته ٠

صعق :

جيء بلفظ الفعل في قوله تعالى : ((وخرّ موسى صعقا")) { الاعراف / ١٤٣ }

وبلفظ الاسم في قوله :((فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)) {فصلت /١٣ } وقوله ((فأخذتهم صعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)) {فصلت /١٧ } وقوله ((فأخذتكم الصعقة وأنتم تنظرون)) {البقرة /٥٥ }وقوله (فأخذتهم الصعقة بظلمهم)) {النساء /١٥٣ }

وجيء بلفظ الجمع في قوله: ((أو كصيب من السماء فيه ظلمت ورعد وبرق يجعلون أصبعهم في آذانهم من الصو عق حذر الموت والله محيط بالكافرين)) {البقرة /١٩ } وقوله ((ويسبح الرعد بحمده والملئكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجدلون في الله وهو شديد المحال)) {الرعد /١٣ }

---

(١)للسان (صبح) ، متن اللغة (صبح)

(٢)المصدر نفسه (صبح)تفسير القرطبي : ٢١٠/١٨ ، في ظلال القرآن : ٣١١٥/٥ ، ٣٦٢٩/٦

الصعق يدل على صلقة وشدة صوت من ذلك الصعق الصوت الشديد يقال حمار صعق الصوت إذا كان شديده ومنه الصاعقة وهي الوقع الشديد من الرعد ويقال : الصعاق الصوت الشديد أيضا" ومنه قولهم : صعق إذا مات كأنه أصابته صاعقة(١)قال تعالى: ((ونفخ في الصور فصعق من في السموت ومن في الارض الا من شاءالله)) { الزمر / ٦٨ } ٠

إن التوجيه اللغوي لهذه المادة هو من قبيل التلازم الدلالي ما بين الفعل وما ينتج عنه فالفعل هو الصوت الشديد والموت أو الغشيان هو من نتائج ذلك الصوت لنتلمس رأي ابن منظور إذ يقول : الصاعقة والصعقة : الصيحة يغشى منها على من يسمعها أو يموت ويعنى بها أصوات الرعد ويقال الصواقع ايضا"(٢) ويطلق الراغب ، معنى الصعق بقوله : الصاعقة والصاقعة متقاربان وهما الهدّة الكبيرة الا أن الصقع يقال في الاجسام الارضية والصعق يقال في الاجسام العلوية (٣) .

ووفقا" لذلك فسرت الصاعقة بأنها (النار التي يرسلها الله مع الرعد الشديد وقيل هي قطعة من نار تسقط بأثر الرعد لا تأتي على شيء إلا أصرمته) (٤) الذي يهمنا ويدخل في باب بحثنا فالنار هنا هي من العناصر الطبيعية الكونية وهو المقصود بالاجسام العلوية أي موضع صدورها من السماء سواءكان صوتا" أو نارا" أي من خلق الله عز وجل

ولانها من عند الله تعالى أبدى الانسان والملائكة خيفتهما منها قال تعالى ((ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصو عق فيصيب بها من يشاءوهم يجادلون في الله وهو شديد المحال))

{ الرعد /١٢ } ولتتبعنا للآيات القرآنية نجد أن دلالات الصاعقة تصب في ثلاثة من المعاني : الصوت أو الصوت مع النار أو العذاب والاهلاك ، فالصاعقة هي صوت شديد في الجو ثم يكون منه نار فقط أو عذاب أو موت فهي من ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء تأثيرات منها٠

ويحدد صاحب الوجوه ثلاث معان للصاعقة(٥) وهي : الموت عقوبة حيث يرد صاحبه للدنيا ، وموت الذي لا مرد له ، والنار التي تخرج من السحاب ٠

وهذا يعني أن الصاعقة واحدة من مستلزمات انزال العذاب والإهلاك كالماء والريح والصبحة ٠٠٠٠ وغيرها وما ذلك الا تسخير من عند الله ٠

---

(١)المقاييس : ٣/٢٨٥ – ٢٨٦

(٢)اللسان (صعق)

(٣)المفردات (صعق)

(٤)اللسان (صعق)

(٥)الوجوه والنظائر : ٢٥٢

ويجمع أصحاب التفسير أن الصاعقة نار أو نار مع صوت نحو قوله :(فأخذتهم الصاعقة) (نار جاءت من قبل السماء فأهلكتهم بظلمهم وسبب ظلمهم نعتهم وسؤالهم ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها امتناع الرؤية مطلقا" [١] ٠

و الصاعقة فاعلة بمعنى مفعلة يقال أصعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت [٢] ، وبذات المعنى جاء في التعريفات (الصاعقة هي الصوت مع النار وقيل هي صوت الرعد الشديد) [٣].

ولما كانت الصاعقة هي لانزال العذاب فسرها الزمخشري [٤] بالعذاب يقول : صاعقة أي عذاب شديد الوقع يقال صعقته الصاعقة فصعق صعقا" وهي من باب فعلته ففعل ٠

وهو تفسير بالمسببات لان المادة اللغوية لـ (صعق) لا تدل على العذاب او العقاب وانما هو (أي العذاب) هو من مسببات حدوث او نزول الصاعقة بدليل اضافتها الى العذاب في القرآن الكريم قال تعالى ((فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)) فعلل سبب نزول العذاب بالصاعقة ٠

ولما كانت الصواعق من دلائل قدرة الباري (عز وجل) جيء بها في القرآن معرفة بال التعريف كما في(البقرة ، النساء ، الرعد) وبالاضافة والتنوين في فصلت قال تعالى ((صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقال ((صاعقة العذاب الهون)) ففي فصلت تفصيل في وصف ونعت الصاعقة لانها في معرض

التخويف والتهديد بالعذاب أما في البقرة والنساء فقد اكتفى بالتعريف لانها في معرض ابداء الدهشة واظهار ظلمهم لانفسهم فقال: ((فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون)) وقال: ((فأخذتهم الصاعقة بظلمهم)) وعرّف ايضا" في معرض ابداء الحذر والخيفة من غضب الله وناسب التفصيل مع العذاب لما فيه من افادة التهويل والمبالغة في الوصف فقد أضاف الصاعقة للعذاب ونعتهما (بالهون) والنعت بالمصدر أثبت دلالة وأقوى تعبيرا" ومن ثم أستعمل المصدر مضموما" والعرب تعطي الحركة الثقيلة (الضم) للمعنى الشديد العظيم والحركة الخفيفة السهلة للمعنى السهل [٥]

وهذه إشارة واضحة لأهم صفات اللغة وهي حالة التجاوب الصوتي الذي تسلكه الدلالة لاظهار المعاني المختلفة بهذه الدقة وهذا التخصيص ٠

فالهون : الخزي والعذاب الهون أي : ذي الخزي وهو بالضم الهوان وهو نقيض العز ورجل فيه مهانة أي : ذل وضعف [٦] ٠

أما الهون (بالفتح) مصدر هان عليه الشيء أي خفّ وهوّنه الله أي : سهّله ، من الرفق

---

[١] تفسير البيضاوي : ٢٧٥/٢ ، وينظر فتح القدير : ٥٣٣/١ ، تفسير الواحدي :١٠٦/١٠

[٢] تفسير البيضاوي : ٢٠٣/١ ، التبيان في تفسير غريب القرآن : ٣٧/١

[٣] التعاريف : ٤٤٦/١

[٤] الكشاف : ٤٤٧/٣

[٥] ينظر بدائع الفوائد : ١٥٩/٢ ، وينظر مجاز القرآن : ٢٧٣/١

[٦] اللسان (هون)

والدعة (١) فالعرب إذا أرادت بالهون معنى الهوان ضمت الهاءواذا أرادت به الرفق والدعة وخفة المؤونة فتحت الهاء (٢) وفي قوله (فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) شبه الصاعقة بصاعقة أقوام قد سبقت في العذاب فالتشبيه هنا من أبسط أنواع التشبيه حيث توافرت كل اطرافه : المشبه والمشبه به واداة التشبيه (مثل)خاصة وإن الطرف الاول كالطرف الثاني فتكرار لفظ

(الصاعقة) أفاد التأكيد والمبالغة في وصف الصعقة ومن تعقبنا لآيات العذاب لقوم عاد وثمود في القرآن ظهر لنا أن في آيات الانذار والوعيد قال صاعقة وفي آيات نزول العذاب وتحققه فعلا" استعملت الفاظ غير الصاعقة كالريح الصرصر في أيام نحسات قال تعالى :((فارسلنا عليهم ريحا"صرصر ا" في ايام نحسات)) {فصلت /١٦ } وقوله: ((كمثل ريح فيها صرّ)) {آل عمران/١١٧ } كذلك في{ القمر /٩ } وكذلك في { الحاقة /٦ } وكلها تخص قوم عاد ٠

اما قوم ثمود فقد اهلكوا بالصيحة إذ قال ((فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية)) { الحاقة / ٥ } وهذا يعني ان العذاب قبل ان يضربهم له لفظه المعبر عنه وبعد ان ضربهم له الفاظ اخر ى تعبر عنه فكان أول العذاب صاعقة (صوت ونار تميت وتهلك) وبعد ان ضربتهم وحلت بفنائهم هي الوان والوان من العذاب فهي ريح صرصر وصيحة وطاغية ....

ضوأ : وردت هذه المادة اللغوية في القرآن الكريم بصيغتها الفعلية (المصدرية) فمن استعمال الفعل جاء قوله عز وجل: ((مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" فلما أضآءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمت لا يبصرون)) {البقرة /١٧ }وقوله ((يكاد البرق يخطف أبصرهم كلما اضاءلهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصرهم ان الله على كل شيء قدير)) { البقرة /٢٠ } وقوله تعالى ((يكاد زيتها يضيءولو لم تمسه نار نور على نور يهدي لنوره من يشاء))

{ النور /٣٥ } اما الضياء فجاء في قوله عز وجل : ((هو الذي جعل الشمس ضياء" والقمر نورا" وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيت لقوم يعلمون)) { يونس / ٥ } وقوله تعالى :((ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء" وذكرا" للمتقين))

{ الانبياء/ ٤٨ } وقوله تعالى: ((قل أرئيتم ان جعل الله عليكم اليل سرمدا" الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون)) {القصص /٧١ } .

فالضاد و الواو والهمزةأصل صحيح يدل على نور من ذلك الضّوء والضّوء وهو الضياء والنور (٣) وجمعه أضواء يقال ضاء السراج يضوء و أضاء يضيء واللغة الثانية هي المختارة وقد يكون الضياء جمعا" فمعنى ضاءت وأضاءت استنارت وصارت مضيئة (٤) .

وعن أبي زيد في نوادره : التضوؤ أن يقوم الانسان في ظلمة حيث يرى بضوء النار اهلها فبهذا المعنى ورد الفعل أضاءت وأضاء ويضيء في القرآن الكريم وفيما يبدو أن أصل المعنى الكثرة أي كثرة الشيء

---

(١) مجاز القرآن : ٢٠٠/١ ، معاني القرآن : ١٠٦/٢

(٢) المقاييس (هون)

(٣) المقاييس (ضوأ) : ٣٧٦/٣

(٤) اللسان (ضوأ)

فيقال في اللغة ضيأ المرأة كثر ولدها ، ومن ثم اختص المعنى بكثرة النور وحسب ، وهو ضوء النار ولذا قيل لنور الشمس ضياء ولضوء القمر نور إذ أنه يكون للضوء القليل والكثير ٠

فقال تعالى في سورة {البقرة / ١٧ } ((فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم)) ولم يقل بضوئهم لان النور أعم من الضوء إذيقال على القليل والكثير وانما يقال الضوء على النور الكثير ، ففي العام يدل على نفي الخاص وثبوته لا يدل على ثبوت الخاص وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ونفيه لا يدل على نفي العام (١)٠

ولذلك قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا" ففي الضوء دلالة على النور فهو أخص منه فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف النور ٠٠٠٠ والقصد ازالة النور عنهم أصلا" ولذا قال عقبة وتركهم في ظلمات

.

والنور كيفية قائمة فنقول النور المخلوق محسوس لا يحتاج الى بيان وهو نوعان : أعيان وأعراض فالأعيان جرم النار حيث كانت نور السراج والمصباح الذي في الزجاجة والاعراض نور القمر وغيره (٢) ،

يقصد بذلك القول أن ضوء النار والشمس ضوء ذاتي مباشر أما القمر فهو يكتسب نوره من الشمس أي غير ذاتي غير مباشر فهو عارض عليه طارىء .

بيد ان رأيا" آخرا" يطالعنا في توجيه قوله ((ذهب الله بنورهم)) أي بنارهم التي هي مدار نورهم اذ كان الاذهاب بالنور دون نفس النار لأنه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء فقال أضاءت ولم يقل شبت أو شب ضرامها (٣)

والضياء ما يستضيئون به(٤) فقال : جعل الشمس ضياء أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبر هنا وفي الانبياء والقصص (ضئاء) بهمزتين للمبالغة وهو أعم من الضوء وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور فالله خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا" بالعرض مقابلة بالشمس والاكتساب منها(٥)٠

فالضياء ما يضىء والنور ما يبين فيخفى لأنه من النار(٦) ٠

---

(١) ينظر الاتقان في علوم القرآن : ٥٤٢/١ ، والبرهان : ٤٠٢/٣

(٢) دقائق التفسير : ٤٧٦/٢

(٣) تفسير ابي السعود : ٥٠/١

(٤) ما دل عليه القرآن مما يفد الهيئة القويمة : ١٣٤/١٠

(٥) تفسير البيضاوي : ١٨٦/٣

(٦) تفسير القرطبي : ٣٠٩/٨

ولما ذكر الشمس صراحة جاء بالضياء لانه نورها يسمى كذلك في حين لما قال السراج قال و هاجا" ولانه وصف السراج فمن غير المناسب قولنا سراجا" مضيئا" وشمسا" وهاجة فلا توصف بالمبالغة لانها هي الشمس والعرب تشبه بالشمس وتصف بها الاشياء لارادة المبالغة ٠

اما السراج فيجوز ان يكون مضيئا" او غير ذلك لذا احتيج الى وصفه على سبيل المبالغة في الوصف ومن ناحية لغوية أخرى لما كان الوصف بالمصدر جاز حذف تاء التأنيث .

والعرب قد تصف المؤنثة بالمصدر وتسقط الهاء كقولهم : انما خلقت فلانة لك عذابا" ونحو ذلك

بغير الهاء ولا يجوز حذف هاء(١)التأنيث اذا كان الوصف بصيغة اشتقاقية كاسم الفاعل او المفعول او صيغة المبالغة فليس من الصواب قولنا : جعل الشمس وهاجا" وكل الصحة حينما قال جعل الشمس ضياء" ٠

ونلاحظ تقديم ضياء الشمس على نور القمر لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ، نفهم من ذلك أن ذكر الضياء محله ذكر المنافع الناجمة عنه والفوائد المترتبة عليه وليس محله ذكر طبيعة خلق الكون أو التدبر والتطلع في هذه الطبيعة – كما هو في السراج ، ومن ثم قرن بالضياء قوله ((أفلا تسمعون)) فأبتدأ الآية (٢) بفعل الرؤية (أرأيتم) وختمها بفعل السمع (أفلا تسمعون) ٠

فزواج بين الرؤية والسمع و هذه هي بلاغة القرآن واعجازه لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر فضياء الشمس حياة وضجيج وانتشار وبهجة وصوت الحياة ينتشر حيثما يرمي الضياء خيوطه ، والليل سكون وموت فقرن بالليل قوله ((أفلا تبصرون)) لان هذا الظلام الذي هو سكون وموت غيرك يبصر فيه منفعة فيبصر ما لا تبصره من السكون ٠

ومن رحمته زواج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم (٣)هما معا" ولم يجعل القمر كهيئة الشمس لكي يعرف الليل من النهار (٤) النهار (٤)

فيتعلم الانسان عدد السنين والحساب ولما كانت هذه الغاية استوجب ذكر الشمس والقمر معا" في سورة يونس لأن الفائدة تحصل من الطلوع والمغيب ٠

وفي الانبياء ورد ذكر الضياء ولا يقصد به الشمس وانما هو على سبيل المجاز ويعنى به نور الكتاب أي إنه في نفسه ضياء وذكر بما فيه من الشرائع والمواعظ(١) وقيل الضياء يعني الاسلام وقيل الرسول

---

(١)مجاز القرآن : ٢٧٤/١

(٢)سورة القصص / ٧١

(٣)ينظر الكشاف : ١٨٩/١ ، مجاز القرآن : ١٠٩/٢ – ١١٠

(٤)فتح القدير : ٤٢٦/٢

(صلى الله عليه وسلم) (٢)

وبمقارنة لطيفة نرى ان الضياء ذكر ثلا ث مرات كما هو السراج واستعمل مرة واحدة على سبيل المجاز والسراج كذلك اذ كنى به النبي (صلى الله عليه وسلم) ٠

وجيء بالصيغ الفعلية (أضاء – أضاءت – يضيء) وهي ثلاث والعدد (٦) هو ناتج جمع استعمال الصيغة المصدرية مع الصيغة الفعلية وهو رقم خلق السموات والارض – كما مر بنا

القبس :

الشعلة من النار وفي التهذيب القبس شعلة من نار تقتبسها من معظم واقتباسها الاخذ منها والقابس الذي يقبس من النار قبسا" يقال : قبست منه نارا" أقبس قبسا" فأقبسني أي أعطاني منه قبسا"(٣)فيكون معناه استفدت وقيل اقبسته علما" وقبسته نارا" أو خيرا" اذا جئته به فيكون المتعدي للافادة المعنوية الروحية واللازم للافادة المادية الحقيقية ٠

عن ابن الاعرابي : قبسني نارا" ومالا" واقبسنى علما" ، أي بمعنى علمناه(٤)ومن خلال تتبعنا لآيات القرآن الكريم نجد أن القبس ورد ذكره مرتين اثنتين فبقوله: ((وهل اتاك حديث موسى اذرءا نارا" فقال لاهله امكثوا إني ءانست نارا" لعلي ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى)) { طه/١٠} وقوله :((إذ قال موسى لأهله إني ءانست نارا" سئاتيكم منها بخبر أو ءاتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون)) {النمل / ٧ } ٠

في حين جاءت الجذوة في ذات القصة في قوله تعالى: ((فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ءانس من جانب الطور نارا" قال لأهله امكثوا إني ءانست نارا" لعلي ءاتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)) { القصص /٢٩ } ٠

ففي الاولى قال قبس وفي الثانية قال بشهاب قبس و أما الثالثة قال : جذوة من النار ومن خلاله معارضة السياق اللغوي لكل آية بالأخرى نجد أن لكل نص خصوصيته بالرغم من التشابه المبدئي للنصوص الثلاث إلا أنه لا يمكن استعمال اللفظ في سورة النمل مكان اللفظ الذي في سورة طه أو القصص وبالعكس ٠

لان كل لفظ له معناه المرتبط بسياق الكلام في الاية وما يتقدمها وما يعقبها فهل الاختلاف الدقيق في النصوص أدى الى اختلاف في الاستعمال للالفاظ (القبس ، شهاب قبس ، جذوة من النار) وقبل الاجابة على هذا التساؤل لنلاحظ الفروق في النصوص الثلاثة ٠

١) تفتتح السور الثلاث بحروف وعلى التوالي : طه وهو أحد أسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم) طس ّ ،طسمّ (وهي حروف تفتتح بها سور القرآن) وربما دل الطاء على الطلب سواء طلب النار او طلب القبس أو شهاب قبس .

---

(١) الكشاف : ٥٧٥/٣

(٢) تفسير القرطبي : ١١٨/٦

(٣) الصحاح (قبس) ، مختار الصحاح (قبس) ، اللسان (قبس)

(٤) اللسان (قبس)

٢) يقدم للآية في سورة طه بقص الحدث على النبي (صلى الله عليه وسلم) ويبدأ الحدث برؤية النار ، وفي سورة النمل يقدم للآية بقول موسى (عليه السلام) وحديثه لاهله مباشرة" ، أما في سورة القصص تبدأ الآية بعد الاسترسال في سرد قصة موسى (عليه السلام) ويبدأ بانتهاء الآجل (المدة التي وعد بها نبي الله شعيب) والسير بأهله بعد انتهاء المدة ٠

٣) في طه يدعو أهله بالمكوث وكذلك هو الحال في القصص في حين أنه لا يذكر المكوث في سورة النمل ٠

٤) تكرار لفظ (آنس)في الآيات الثلاث والذي يدل على الأنس والأمان والاطمئنان والاستقرار والراحة ٠

٥)في طه يكون الر جاء (لعلّي) بالإتيان بالقبس أو إيجاده الهدى والفعل وجد من أفعال التحويل ، وفي النمل فعل الإتيان يتكرر مرتين والأول مبدوء بالسين المضارعة التي تدل على الاستقبال والتي تتضمن برهة زمنية أقل ومن ثم يكون الإتيان بشهاب قبس ، وليس بالقبس

٦) في النمل والقصص الرجاء (لعلّي) يكون للاصطلاء ٠

٧) يذكر المكان في طه بعد الاية بقوله: ((إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طو ى)) وفي القصص يفصل بذكر المكان فيقول :((فلما اتها نودي من شطىء الواد الايمن في البقعة المبركة من الشجرة أن يموسى أني أنا الله رب العالمين)) في حين لم يذكر المكان في سورة النمل كما لم يذكر فعل المكوث .

٨) في طه قدم النداء بالفعل المبني للمجهول (نودي)

على المكان (فلما اتاها نودي يا موسى) ولم يذكر لفظ الشجرة ، اما في القصص قدم النداء بالفعل المبني للمجهول الا انه قرنه بتقديم المكان ثم ذكر النداء ، في حين ان في النمل قدم النداء للمبني للمجهول والمقرون بانزال البركة (فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين) ثم ذكر النداء .

ومن هذه الملاحظات نستطيع الوقوف على العلاقة الخفية لكل استعمال ففي سورة طه : يقدم للآية بذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) (طه) وتنزيل القرآن (الكتاب السماوي) ثم يقدم الحديث عن ملكوت السموات والارض فيقول (خلق الارض والسموات) فقدم الأرض على السماء وهذا الاحتفاء مدعاة لذكر المكان المقدس طوى ٠

وذكر الرحمن واستوائه على العرش وإن له (ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى فقدم امتلاكه للسماوات لان الوحي والكتب والغيب يتنزل من السماءالى الارض ويتحدث عن علمه (عز وجلّ)بالسر وما اخفى ((وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر و أخفى))

فينسق الحديث التعبير بين الظاهر الجاهر في الكون والظاهر الجاهر من القول وبين المستور المخبوء تحت الثرى والمستور المخبوء في الصدور ، والسر خاف وما هو اخفى من السر تصوير لدرجات الخفاء والاستتار كما هو الحال تحت اطباق الثرى(١)٠

هذه المقدمة عن الملكوت والعرش والرحمن والعلم بالغيب هو تهيئة لما سيأتي من قصة موسى (عليه السلام) حيث سيكون تنزيل الرسالة التي تتضمن العلم بكل ذلك ٠

فلما كان هذا الحديث وافق ان يأتي بلفظ القبس الدال على الاقتباس أي: الأخذ من ، وكأن موسى (عليه السلام) يقتبس كل ذلك من الله (عز وجلّ)وقد تقدم و أن ذكرنا رأي علماء المعاجم في معنى أقبسني علما" ٠

والقبس يوافق المعنى الخاص في القصة الظاهرية (وهي اقتباس شعلة نار للاستدفاء) ويوافق المعنى العام في القصة وهو (الاقتباس من الوحي وتلقي الرسالة السماوية) ٠

ويدعم هذا المعنى قوله (أو أجد على النار هدى) فالفعل وجد من افعال التحويل فهذه النار الحقيقية ستتحول الى هدى ٠

وعلى هذا فقد جمع لفظ القبس : الاقتباس المادي الذي كان يطلبه نبي الله موسى (عليه السلام) والاقتباس المعنوي للعلم الذي كان يلقنه الباري عز وجلّ لنبيه يقول صاحب التعاريف : الاقتباس أصله طلب القبس وهو الشعلة ثم استعير لطلب العلم والهداية ومنه انظرونا نقتبس (٢)

فالقصة تتضمن منحى خاصا" وآخر عاما" ، الخاص : إن موسى عليه السلام يضل طريقه في الصحراء ومعه زوجه وقد يكون معهما خادم والمتاهة واسعة ويدعو أهله الى المكوث بعد ان يبصر نارا" في الفلاة فيستبشر ويذهب ليأتي منها بقبس يستدفىء به أهله فالليلة باردة قارة أو ليجد عندها من يهديه الى الطريق أو ليهتدي على ضوئها الى الطريق فيجد انها النار التي تهدي لا الاجسام ولكن الارواح ، النار التي تهدي لا في السرى ولكن في الرحلة الكبرى.

والمنحى العام : أن موسى (عليه السلام) مر بتجارب عديدة ومواقف واختبارات كثيرة ومحن قاسية ليصل استعداده الى الذروة فيكون مستعدا لتلقي النداء الأعظم ، ولما وصله النداء تلقاه وحيدا

في ذلك الوادي العميق تلقاه ينجاوب به الكون الساكن من حوله وتمتلئ به السماوات والآراضون تلقاه ملء الكون من حوله لأنه صنع على عين الله حتى تهيأ اللحضة الكبرى (١).

---

(١)ينظر في ظلال القرآن : ٢٣٢٩/٤

(٢)التعاريف : ٨١/١

ويجمل بعد ذلك بذكر الأسماء الحسنى (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) فهذه النار ليس نارا حقيقية دنيوية وانما هي من أنوار الملكوت الاعظم وهذه الحقيقة ستظهر في سورة النمل ، ولذا تحولت القبس الى شهاب القبس .

في النمل : يقدم للآية بذكر آيات القرآن والكتاب المبين الذي هو الهدى والبشرى للمؤمن كما هي الآيات التسع ، آيات موسى (عليه السلام) هدى وبشرى وبسط الحديث عن أوامر ونواهي الكتاب الذي هو من لدن الحكيم العليم ٠

إذن هو الحديث لا يتضمن العلم بالملكوت والغيب والتبليغ كما هو في طه وانما الأجواء هي أجواء الرسالة بما تحمل من أوامر ونواهي ولذا نجد أن موسى لا يكترث بأي شيء يشغله عن ذلك الأمر العظيم حتى أهله فلا يأمرهم بالمكوث كما في سورة طه حيث يوحي هذا الفعل بوجود الخوف وعدم الاطمئنان في قلب موسى (عليه السلام)و أهله وليطمئن عليهم وعلى نفسه يأمرهم بالمكوث أي يؤمن لهم المكان المناسب ليتركهم في هذه الصحراء الجرداء فهو غير متيقن مما سيواجه عند النار ٠

أما في هذه الاية نجده أكثر اطمئنانا"واستقرارا" وكأن الأمر صار معروفا" لديه بل ويريد ان يسارع للدخول في هذه المناجاة مع العلي الحكيم فيتركهم دون و جل (فلا يأمرهم بالمكوث) وهذه المسارعة جاءت مترانمة مع وجود الشهاب الذي يمدنا باحساس الحركة والسرعة ومع وجود السين المضارعة في الفعل (سآتيكم) بمعنى انني لن أتأخر عنكم وتكرار الفعل هو تأكيد ويقين بالعودة لطرد الخوف منهم وليس منه (عليه السلام) بعد أن كان يشعر به هو أيضا" في سورة طه ٠

وبتكرار الفعل (آتى) مرتين يكون الوعد بالإتيان لأمرين :

١) الآتيان بالخبر ٠

٢) الإتيان بشهاب قبس ٠

وقد كان من قبل اتيان واحد وهو القبس وحصوله على اليقين من وجود الهدى وهذا يعني أنه في طه لا يعرف بماذا سيأتي مع حصوله على النار ، ولكن في النمل هو عارف متيقن من أنه سيأتي بخبر الطريق وسيأتي بالنار في الصورة الظاهرية للقصة وسيأتي بخبر السماء وأسرار العلم والرسالة والتبليغ في الصورة الداخلية للقصة ٠

لانه عرف على الأرجح أنها لم تكن نارا" دنيوية وانما كانت نارا" مصدرها الملأ الأعلى نارا" أوقدتها الأرواح الطاهرة من الملائكة ومن حولها وفيمن حولها موسى (عليه السلام) فهذه أنوار الهداية أنوار الملكوت الأعلى فناسب هذا الجو الاحتفائي بالنبي أن يقول آتيكم بشهاب قبس ، وسبق أن قلنا أن الشهاب هو النور الساطع الذي يصدع بنوره كل الأكوان والا اضين فلم يعد ذلك مناسبا ذكر المكان (جبل طور) وسط هذه الأجواء الربانية المتجلية وقد صادقها الله سبحانه بالبركة فقال بورك من في النار ومن حولها ٠

---

(1) في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٩٢

فالشعلة الصغيرة الملتهبة في سورة طه صارت نور ﴿انوار ا لا لهب فيها في سورة النمل كما يدلنا على ذلك معنى الشهاب الذي هو كل ابيض ذي نور فهو شهاب [١]

اما في القصص : وردت قصة موسى (عليه السلام) بحلقاتها كلها منذ كان رضيعا" في المهد وحتى تلقيه النبوة وتصدره لفرعون مع اخيه هارون ٠

وهذا الخط الطويل من المحن والتجارب والابتلاءات يرافقه خط طويل من الرعاية والتوجيه ومن التلقي والتجريب قبل النداء والتكليف للوصول الى الاصطفاء ٠

فهنا في القصص صارت قصة موسى (عليه السلام) واضحة معروفة الجوانب لا خفاء و لا ستر يحجب كل شيء فيه تفصيل وتوضيح حتى ذكره للمكان كان مفصلا" واضحا" لنا ولنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ولموسى (عليه السلام) في القصة ٠

ولذا نجده يصرح بذكر الشجرة بعد ان كان يضمر في ذكرها ، ففي طه يقول (فلما أتاها) أي الشجرة ، وفي النمل يقول (فلما جاءها) ولكن في القصص يقول (فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الا يمن في البقعة المباركة من الشجرة ٠٠٠٠٠)

ولما كان الطرح كاملا" للقصة ناسب أن يعود لذكر أمر المكوث ودعوة أهله اليه ولذكر المكان لان ذكر كل المحن التي هي أدت الى مشاعر الخوف وعدم الاطمئنان عند النبي موسى (عليه السلام) ثم أن الأجواء ليست أجواء التبليغ والاحتفاء الملكوتي كما هو في النمل ٠

ولنلاحظ بعد ذلك كله أن القبس تلك الشعلة الصغيرة في سورة طه صارت شهاب قبس، نور أكبر في سورة النمل ثم تحولت الى جذوة من النار والتي تعنى أصل الشجرة _كما وضحنا سابقا_ في القصص أي أصبحت نارا" أكبر و أكبر وهذا ناسب وجود لفظ الشجرة أيضا" هنا ٠

وهذا التحول يوافق التحول في سلسلة الحديث وقص الموضوع فبعد ان كان موضوعا" خافيا" وسرا" من أسرار التبليغ والعلم في سورة طه صار أمرا" بالنبوة وحمل الرسالة في النمل ثم اجمالا" وشمولا"لكل ذلك في القصص .

اللهب :

جاء في قوله عز وجل :((تبت يدا أبي لهب وتب ، سيصلى نارا" ذات لهب)) {المسد / ١-٣ } وجاءفي قوله عز وجل :((انطلقوا اني ظل ذي ثلث شعب لا ضليل ولا يغني من اللهب)) {المرسلات /٣١ } ٠

جاء في اللسان [٢]اللهب و اللهيب واللهبان : اشتعال النار إذ خلص من الدخان ، وقيل لهيب النار حرها ، وقد ألهبها فالتهب ولهبها فتلهبت : أوقدها واللهبان :بالتحريك توقد الجمر بغير ضرام وكذلك الحر في الرمضاء ، واللهبة : اشراق اللون من الجسد ، والتهب عليه : غضب وتحرق ، واللهب : الغبار الساطع

---

[١] روح المعاني : ١٦٦/١٦

[٢] اللسان (لهب)

٠٠٠٠ ويقال للفرس المثير للغبار ملهب ، واللهب : ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر و أصفر و أخضر في حين أن الشواظ هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان (١)

فقوله ذات لهب : أي ذات اشتعال وتلهب ، وقيل اللهب في القرآن يعني لهب جهنم خصوصا" .

والمراد في المرسلات : أي لا يظل من الحر ولا يغنى من اللهب، عن الكلبي : لا يرد حر جهنم عنكم ثم وصف سبحانه النار، لها ترمي بشرر كالقصر أي كل شرر ة من شررها التي ترمي بها كالقصر من القصور في عظمها والشرر ما تطاير من النار متفرقا" والقصر البناء العظيم وقيل القصر جمع (قصرة) ساكنة الصاد مثل (حمر) (٢)فلا يرد لهب جهنم عنهم إذا استظلوا بذلك الظل فلا يدفع عنهم حر اللهب(٣)او لا يظلهم من حرها ولا يكنهم من لهبها(٤).

ونرى أن هذه الآية والتي قبلها فيها قاعدة هندسية وهي أن الشكل المثلث لا ظل له(٥) ويفسر القرطبي الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين ، قيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت (٦)

واللهب هو الهواء انقلب نارا" مثل ما في ذبالة المصباح لهذا إذا اطفئت صار دخانا" وهو هواء مختلط بنار كالبخار(٧).

ومن المجزوم به أن أبا لهب إنما سمي بذلك لحسنه واشراق وجهه لكن سبحانه وتعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار فيكون أبا لهب تحقيقا"للنسب وامضاء للفأل و الطيرة التي اختارها لنفسه فكان أهله يسمونه (أبا لهب) لتلهب وجهه وحسنه فصرفهم الله عن أن يقولوا: أبو النور وأبو الضياء الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه وأجرى على ألسنتهم ان يضيفوه الى (لهب) الذي هو مخصوص بالمكروه والمذموم وهو النار (٨)

و أضاف الطبري أسبابا" أخرى وهي أن اسمه عبد العزى والعزى صنم ولم يضف الله في كتابه العبودية الى صنم ثم أنه بكنيته أشهر منه باسمه فصرح بها (٩) .

---

(١)تفسير القرطبي : ١٦٢/١٩ ، وينظر : ٢٧٥/٤

(٢)فتح القدير : ٣٥٩/٥ ، زاد المسير : ٤٥٠/٨

(٣)تفسير البغوي : ٤٤٨/٤

(٤)تفسير الواحدي : ١٢٣٩/٢

(٥)أبجد العلوم : ١٩٦/٢

(٦)تفسير القرطبي : ١٦٢/١٩

(٧)زاد المسير : ٤٥٠/٨

(٨)تفسير القرطبي : ٢٣٦/٢٠ – ٢٣٧

(٩)تفسير الطبري :

ويبدو أن (اللهب) بالاسكان هو الاسم وبالفتح هو التلهب وقد قرأ مجاهد وحميد وابن كثير وابن مهيمن (أبي لهب) باسكان الهاء ولم يختلفوا في ذات لهب انها مفتوحة لانهم راعوا رؤوس الآي(١).

النــور :

الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار ،وذلك ضربان دنيوي و آخروي فالدنيوي ضربان ضرب معقول يعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الآلهية كنور العقل ونور القرآن ومحسوس بعين البصيرة وهو ما انتشر من الاجسام النيرة كالقمرين والنجوم(٢)٠

والنور من اسماء الله تعالى قال ابن الاثير : هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو الغواية وقيل هو الظاهر الذي به كل ظهور والظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا" وهو من صفات الله عز وجل قال تعالى: ((الله نور السموات والارض)) { النور /٣٥ } قيل في تفسيره هادي أهل السموات والأرض ٠

عن ثعلب : نار نورا"وأنار ونوّر الأخيرة عن اللحياني بمعنى واحد : أي أضاء كما قيل : بان الشيء وأبان وبيّن وتبيّن واستبان بمعنى واحد(٣) واستنار به : استمد شعاعه ،نوّر الصبح ظهر نوره

والتنوير : وقت اسفار الصبح ، عن سيبويه الجمع أنوار ونيران ، انقلبت الوار ياء لكسر ما قبلها ونيرة ونور ونيار الاخيرة عن ابي حنيفة (٤)

ويبدو مما تقدم أن النور والنار من أصل لغوي واحد إلا أن كلاهما يقابل الآخر وفي موازاة منه ،فالنور انتشار وتوسع بخط عرضي ليشتمل كل المكان ، في حين أن النار تصاعد بخط عمودي وقد ناسب صوت الواو السعة والاشتمال والالف صوت الصعود والارتفاع ٠

والنور خيط وشعاع ونار لهب واتقاد بمعنى أن النار تحتاج الى موقد ووقود بخلاف النور ٠

وعلى اثر ذلك النور لا يترك أثر بعد زواله في حين أن الرماد من آثار النار ومخلفاتها إلا نار الآخرة .

وقد جمع صاحب الوجوه عدة معان ، وهي :

١) نور يعني دين الاسلام قال تعالى: ((يريدون ليطفئوانور الله بأفو ههم)) يعني دين الاسلام و ((يأبى الله الا ان يتم نوره)) بمعنى الا ان يظهر دينه ومثلها في {الصف / ٨ } و {النور /٣٥ }

---

(١)تفسير القرطبي : ٢٣٧/٢٠

(٢)المفردات (نـور

(٣)الصحاح (نور)

(٤)اللسان (نور)

٢) نور يعني الايمان فذلك قوله تعالى: في {الانعام /١٢٢} ((وجعلنا له نورا" يمشي به في الناس)) يعني ايمانا" يهتدي به ، وفي سورة{ الحديد/٢٨ } قوله تعالى: ((الله وليّ الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمت الى النور)) {البقرة /٢٥٧ } يعني من الكفر الى الايمان ٠

٣) نور يعني هد"ى مثل قوله تعالى :((الله نور السموت والأرض)) يعني هاديا" ((مثل نوره)) {النور /٣٥ } يعني مثل هداه ٠

٤) نور يعني نبيا" كقوله تعالى :((نور على نور)) {النور/ ٣٥ } يعني : نبيا"من نسل نبيّ

٥) نور يعني ضوء النهار في قوله تعالى: ((وجعل الظلمت والنور)) {الانعام /١ } يعني بالنور ضوء النهار .

٦) نور يعني : ضوء القمر كقوله تعالى: ((وجعل القمر فيهن نورا")) { نوح /١٦ } يعني جعل القمر في السموات ضياء" يستضىء به أهل الأرض ٠

٧) نور يعني : ضوء المؤمنين على الصراط يوم القيامة وذلك في { الحديد / ١٢ }((يسعى نورهم بين أيديهم))

٨) نور يعني بيان الحلال والحرام والاحكام والمواعظ التي في التوراة فذلك قوله في سورة {المائدة/٤٤}(انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور)) يعني :بيان الحلال والحرام والامر والنهي الذي في التوراة وهو بمنزلة الضوء في الظلمة .

، وقال في {الانعام /٩١} ((قل من انزل الكتاب الذي جاءبه)) يعني: التوراة الذي جاء به موسى (عليه السلام) ، وقوله في {الانبياء /٤٨ }((ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء)) يعني : ما في التوراة من البيان ٠

٩) النور يعني : القرآن وما فيه من بيان للحلال والحرام كما في قوله تعالى :((فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا)) {التغابن / ٨ } يقصد : الفرقان وما فيه من الحلال والحرام والنهي ، وفي الاعراف /١٥٧ قوله تعالى ((واتبعوا النور الذي انزل معه)) ويعني به القرآن الذي بمنزلة الضوء في الظلمة ٠

١٠) النور يعني : نوره عز وجل كما في قوله تعالى: ((واشرقت الارض بنور ربها)) {الزمر/٦٩} يعني : بضوء ربها ٠

والاضافة هنا اضافة تشريفية لان المقصود بالنور هنا ضوءالنهار الذي هو من نعم الله عز وجل على العباد والكائنات ٠

وكثيرة هي المواضع التي ورد فيها ذكر النار وسنحدد الغايات والاوجه التي كان يتضمنها النص القرآني وهي :

١ _ نار الدنيا قال تعالى: ((الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا" فإذا انتم منه توقدون)) { يس/٨٠ ، والواقعة /٧١ }كذلك

٢ _نار القربان قال تعالى :((ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار)) {آل عمران/١٨٣}

٣ _نار سيدنا ابراهيم (عليه السلام) ورود اعجازي قال تعالى ((قلنا ينار كوني بردا" وسلما" على ابر هيم)) {الانبياء /٦٩ }

٤ _نار بمعنى النور الرباني ورود اعجازي قال تعالى :((اني ءانست نارا" ٠٠٠٠)) {طه/١٠ ، القصص /٢٦ ، النمل /٨ }

٥ _نار : جيء بها لضرب المثل قال تعالى: ((٠٠٠ ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية ٠٠)) {الرعد / ١٧ }

٦ _نار الحرب قال تعالى: ((كلما أوقدوا نارا" للحرب أطفأها الله)) { المائدة /٦٤ }

٧ _نار قصد بها الفتنة قال تعالى: ((وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها))
{آل عمران/١٠٣ }

٨ _النار الآخروية وقد ذكرت بشكل واسع ما بين توعد ووعيد ووصف وترهيب واقرار وانتساب الكفار للنار فقال :(أصحاب النار) { الرعد/٥ } وكررت في آيات كثيرة مثل {يونس/٢٧ } {المجادلة /١٧ } { التغابن /١٠ } { المائدة /٢٩ } {الأعراف /٣٦ } ومن خلال تفحص آيات العذاب نجد أن أكثر ما يركز العذاب على الوجه وقد يعود ذلك الى أن الوجه ميدان الحواس والتي هي طريق لتحسس ألم العذاب ومن هنا أظهرت الآيات القرآنية مختلف ألوان العذاب بمختلف الاستعمالات اللفظية قال تعالى :

١ . ((وتغشى وجههم النار)) { هود /١١٣ }
٢ . ((لا يكفون عن وجوههم النار)) { ابراهيم /٥٠}
٣ . ((تلفح وجههم النار)) { المؤمنون / ١٠٤ }
٤ . ((فكبت و جههم في النار)) { النمل / ٩٠ }
٥ . ((يوم تقلب وجههم في النار)) {الاحزاب / ٦٦ }
٦ . ((يوم يسحبون في النار على وجههم)) { }

وقر ن الذوق بتجرع ألم وعذاب النار قال تعالى :((ذوقوا مس سقر)) { القمر /٤٨ } و ((ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)) {سبأ /٤٢ } و ((ذلكم فذوقوه و أن للكافرين عذاب النار)) {الانفال / ١٤ } فكما يتذوق أهل الجنة طيبها ونعيمها يتذوق أهل النار عذابها وألمها ،و أخيرا نقول : إن النور اتخذ دلالات متعددة أكثر من دلالات النار وهذا بيان لسعة النور وانفتاح معانيه على معاني الخير و الهدى والحق ، فلا يمكن بعد ذلك أن يدل النور على معاني الشر أو العذاب أو ٠٠٠٠ الخ .

ولكون القرآن كتاب سماوي ضم كل الثنائيات كالجنة والنار ، الحق والباطل ، الهدى والضلال ، الحلال والحرام ، العلم والجهل ٠٠٠٠ الخ أردنا أن نتلمس الفاظ ثنائية النور والنار وصورها في القرآن الكريم علنا نكون قد حققنا شيئا" في لغة القرآن ٠

وقد:

قال تعالى: ((يوقد من شجرة زيتونة ولو لم تمسسه نار)) { النور/٣٥ } وقال تعالى: ((الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا" فاذا انتم منه توقدون)) { يس/٨٠ }وقال تعالى ((فأوقد لي يهمن على الطين فاجعل لي صرحا" لعلي أطلع الى اله موسىوإني أظنه من الكذبين)) { القصص /٣٨ } وقال تعالى: ((كلما أوقدوا نارا" للحرب أطفأها الله)) { المائدة/٦٤ } وقال تعالى : ((ومما يوقدون عليه في النار)) { الرعد /١٧ } وقال تعالى: ((مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" فلما أضآءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمت لا يبصرون)) {البقرة /١٧ } وقال تعالى : ((فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاّتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) {البقرة /٢٤ } وقال تعالى : ((اولئك هم وقود النار)) {آل عمران /١٠ } وقال تعالى :((النار ذات الوقود)) (البروج /٥ } وقال تعالى((يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارا" وقودها الناس والحجارة)) { التحريم /٦ } وقال تعالى: ((نار الله الموقدة)) { الهمزة / ٦ } ٠

وقد : الوقد ، نفس النار ووقدت النار تقد وقدا" وقدة ووقدانا" ووقودا" بالضم الحطب وعن سيبويه الضم للمصدر والفتح للحطب ٠

والاتقاد مثل التوقد والوقود، بالفتح الحطب، وبالضم مصدر الاتقاد وقيل كأن الوقود اسم وضع موضع المصدر والوقود ما ترى من لهبها لأنه اسم والوقود المصدر(١)٠

ويقال : أوقدت النار واستوقدتها ايقادا" واستيقادا" وقد وقدت النار وتوقدت واستوقدت استيقادا" والموضع موقد مثل مجلس والنار موقدة وتوقدت واتقدت واستوقدت كله هاجت (٢)

وقريبا" منقول اللغويين يذهب القرطبي الى أن وقد وقدا" ووقيدا" ووقدانا" والموضع موقد مثل مجلس والنار موقدة والوقدة شدة الحر(٣)٠

بالفتح الاسم وبالضم المصدر (٤)قوله تعالى: ((اتقوا نارا" وقودها الناس والحجارة)) وقودها: حطبها أو هي بمعنى ذو وقودها(٥)عن مجاهد : كان يقرأ كل شيء في القرآن وقودها برفع الواو الأولى إلا التي في البروج (النار ذات الوقود) (٦)واختلف في تفسير الحجارة في قوله تعالى ((فاتقوا النار التي وقودها الناس الناس والحجارة)) و ((قوا أنفسكم و أهليكم نارا" وقودها الناس والحجارة)) ٠

---

(١)اللسان (وقد) ، متن اللغة (وقد)

(٢)الصحاح (وقد) ، اللسان (وقد)

(٣)تفسير القرطبي : ٢٣٦/١

(٤)تفسير ابن كثير : ٦٢/١

(٥)تفسير الطبري : ١٦٦/٢٠ ، زاد المسير: ٣١٢/٨ ،روح المعاني : ١٥٧/٢٨

(٦)فتح القدير : ٥٣/١

فقيل هي الاصنام التي عبدوها وقرنوا بها أنفسهم(١)وقيل هي الكبريت(٢)وقد يكون تعظيما" لشأن جهنم فهي تحرق كل شيء حتى الحجارة .

واقترن ذكر النار مع الايقاد في كل المواضع إلا في القصص وهذا يدل على أن الايقاد يكون في أول هيجان للنار بمعنى بداية ايقاد الناروإذا ما أردنا اتساع النار فنقول اشتعلت النار فصارت (شعلة) فلا يقال (وقدة) عن شعلة النار مثلا" وهذا يفرض أن يكون الايقاد أخف وأقل من الاشتعال فقال في سورة يس :((الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا" فإذا أنتم منه توقدون)).

ولم يقل تشعلون وقال الشجر الأخضر ونار الشجر الأخضر أقل لهيبا" وتوقدا" وتأججا" من الحطب اليابس الذي يكون منه الاشتعال، إذن الاشتعال أقوى و أسرع انتشارا" وتأججا" من الايقاد .

ويبدو أن هذا هو مسوغ ورود النار في كل السياقات مع فعل الايقاد واسمه لكونه منفردا" لا يكفي دلاليا" للتعبير عن النار فالنار كفعل أوله ايقاد ووسطه اشتعال وختامه اطفاء .

أما في القصص لم تذكر النار لأن معرض الحديث عن فرعون وأمره لهامان فقال أوقد ولم يقل اطبخ لي الآجر وهذه العبارة أحسن طباقا" لفصاحة القرآن وعلو طبقته أشبه بكلام الجبابرة

وأمر هامان (وهو وزير لفرعون ورديفه) بالايقاد على الطين منادى باسمه في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر (٣).

وكما صغر من شأنها هنا صغرها في سورة النور لانه نور الله أجل وأسمى من أن يوقد من النار فقال (ولو لم تمسسه نار) وفي مقابل هذا التصغير ضاعف النور فقال : نور على نور .

ومن الجدير بالذكر النار ورت في البقرة معرفة ومنكرة في التحريم نكرت لانها نزلت بمكة قبل آية البقرة التي نزلت في المدينة مشارا" بها الى ما عرفوه أولا"(٤).

ومن خلال الاستقراء في الآيات القرآنية وجدنا أن الفعل الثلاثي (وقد) يأتي أبدا" في مقام الافادة والخير والصلاح أما في مقام الضرر والشر وعدم الاهتداء استعمل الفعل المتعدي مثل (أوقد ، أستوقد ، وموقدة) .

فأستوقد استدعى الايقاد (٥)قيل استوقد أي طلبها من غيره (١)وقد شبه الواحد بالجماعة(٢)فقال الذي استوقد استوقد ثم قال : ذهب الله بنورهم ، وهذا هو مثل المنافق يبصر ويعرف ثم يدركه العمى عمى القلب(٣).

---

(١)تفسير البيضاوي : ٢٣٨/١

(٢)فتح القدير : ٥٣/١ ،روح المعاني : ١٩٩/١

(٣)الكشاف : ١٨٠/٣

(٤)ينظر البرهان : ٦٤/٢

(٥)التبيان : ٢١/١

فلما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه أوقع في القلب و أقمع للخصم الألد لأنه يريك المتخيل محققا" والمعقول محسوسا" لذا أكثر في كتابه الامثال ٠

وضرب عز وجل في الرعد مثلين ناريا" ومائيا"لما في الماء والنار من الاضاءة والاشراق والحياة فان النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي انزل في السماء متضمنا" لحياة القلوب واستنارتها لهذا سماه الله روحا" ونورا"(٤)٠

هذا في مقام الامثال وفي مقام العذاب قال ((نار الله الموقدة)) ٠

والموقدة : أي التي أوقدهاالله وما أوقده الله لا يقدر غير ه أن يطفئه

فهي تحرق وتأكل جميع ما في الجسد حتى اذا بلغت الى الفؤاد خلقوا خلقا" جديدا" فرجعت تأكلهم(٥)

وهــج :

قال تعالى ((وجعلنا سراجا" وهّاجا")) { النبأ / ١٣ }٠

لم يأت من هذه المادة اللغوية سوى قوله عز وجل هذا ووهّاج صيغة مبالغة على زنة (فعّال) حيث أن التشديد يمكن للمعنى فيضغط الدلالة ويكثرها، نأخذ كمثال قوله تعالى: ((في بروج مشيّدة))
{ النساء/٧٨ } وذات اللفظ في قوله :((وبئر معطّلة وقصير مشيد)) { الحج /٤٥ } ٠

نرى كل الجمال والتناسق في تشديد لفظ (مشيّدة) وجاز التشديد هنا لأن الفعل قد تفرق في جميع مثل قولنا :ثياب مصبغّة و أكبش مذبحّة ، فبالإضافة الى دلالة الجمع في الثياب نتلمس استفحال دلالة التصبيغ والذبح وكأنه عز وجلّ في هذه الاية ير يد أن يرى البشر حقيقة مفادها ان مهما استطالت البروج واستعلت فسيصلك الموت حتما" ٠

فاذا أفردت الواحد من ذلك فان كان الفعل يتردد في الواحد ويكثر جاز التشديد والتخفيف لان الفعل تردد فيه وكثر فيجوز قولنا ثوب ممزّق وقصر مشيّد ٠

أما إذا لم يتردد فيه فلا يجوز التشديد فنقول :كبش مذبوح وكبش مذبّح (٦)

من هنا نفهم لما لم يشدد قوله (مشيد) لانه لا ضرورة تسوغ التشديد مع جوازه إذن من المقطوع به أن المفردة القرآنية في معانيها وبنائها وجرّسها قد امتازت بالدقة.وإن جمال فن التعبير القرآني في دقة الفاظه أعمق مما نتصور فاللفظة القرآنية مشبعة بالحياة موحية غنية بالدلالة مأنوسة لدى النفس فاعلة في الضمير محركة للوجدان ٠

---

(١)المصدر نفسه : ٦٠/١

(٢)تفسير الطبري : ١٤١/١ ، روح المعاني : ٢٣١/٣

(٣)تفسير ابن كثير : ٥٥/١ ، البرهان : ٤٩٠/١

(٤)تفسير الطبري :١ /١٠١

(٥)تفسير البيضاوي : ٥٢٩/٥

(٦)تفسير القرطبي : ١٨٥/٢٠

وحيوية هذه الصيغة تعود الى أنها من ضمن الصيغ التي كانت العرب تقترح عليها الكلمات الجديدة للصفات وأكثر الصفات المبنية في القرآن الكريم نادرة في دلالتها تشتق من أفعالها عند الحاجة اليها وليست بالكلمات الثابتة المألوفة سابقا"(١)

فوهاج لغويا ،مشتق من قولهم : يوم وهج ووهجان : شديد الحر وليلة وهجة ووهانجة وقد وهج وهجا ووهجانا ووهجا وتوهجا

والوهج والوهج و الوهجان والتوهج : حرارة الشمس والنار من بعيد ، ووهجان الجمر : اضطرام توهجه ،والوهج بالتسكين مصدر ووهجت النار تهج وهجا" اذا اتقدت أي توقدت ولها وهج أي توقد

أما الوهج بالفتح والوهيج فهو : تلألؤ الشيء وتوقده وتوهج الجوهر : تلألأ ، ونجم وهاج وقّاد (٢)من قول ابن منظور نتوصل الى ان التسكين مصدر والفتح مصدر اختص بالشمس لما لها من تلألؤ واتقاد وكأن حركة اللسان (عند الفتح) تتناسب مع حركة الاتقاد والتلألؤ الناجم عن الشمس

ولفظ الوهّاج جاء متناسقا" هو الآخر مع لفظ السراج ،ففي السراج توقد وحرارة وضوء وهو ما يتوافر في الشمس ٠

فالسراج له دلالة الاضاءة والتوقد – كما بينا – والوهّاج صيغة مبالغة فيها تشديد بمعنى ان هناك صيغة بنائية وهناك حركة صوتية وكلها تساعد في اظهار الدرجة العظيمة لاتقاد الشمس ٠

و أصحاب التفسير فسروا وهاجا" بمعنى وقادا"(٣)او متلألئا" وقادا" من وهجت النار اذا اضاءت أو بالغا" في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس (٤)

والتعبير عن الشمس بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وعلى هذا يكون (جعل) بمعنى خلق مما ينصب مفعولا" واحدا" ووهاجا" (نصب على الوصفية)

والملاحظ لسورة النبأ يجد أن صيغة المبالغة مما يكثر استعمالها في هذه السورة مثل : ثجاجا" مرصادا" حميما" غسّاقا" كذّابا" (مكرر ة) ٠٠٠٠

وبالاضافة الى صيغ المبالغة نجد أن الفواصل فيها قوة وثبوت في المعنى والذي يأتي من خلال استعمال الصيغ المصدرية أو الصفات المشبهة وكلها أبنية تدعم الدلالات وتقويها وهذا يتناسق وقوة الخلق المعبر عنه في هذه السورة لننظر قوله: ((عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الارض مهادا" والجبال أوتادا" وخلقناكم أزواجا" ، وجعلنا نومكم سباتا" وجعلنا الليل

---

(١)ينظر التطور النحوي برجستر اسر : ١٠٥ القاهرة /١٩٨٢ م

(٢)ينظر السان (وهج)

(٣)تفسير القرطبي : ١٧٢/١٩ ، ينظر في ظلال القرآن : ٣٨٠٦/٥

(٤)روح المعاني : ٩/٣٠ وينظر تفسير ابي السعود :٨٧/٩ ، تفسير البيضاوي: ٤٣٩/٥

لباسا" وجعلنا النهار معاشا" وبنينا فوقكم سبعا" شدادا" وجعلنا سراجا" وهاجا" وأنزلنا من المعطرات ماء" ثجاجا" ٠٠٠))

توالى هذه الحقائق والمشاهد على هذا النحو يوحي بالتناسق الدقيق وبشيء من التدبير والتقدير ويشعر بالخالق الحكيم القدير ويلمس القلب لمسات موقظة موحية فكل شيء مبالغ فيه ومن هنا يلتقي السياق بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ٠

قائمة المصادر :

١ _ القرآن الكريم .

٢ _ الاتقان ، اتقان ما يحسن من الأ خبار الدائرة على الالسن ،محمد بن أحمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١) ، دار الفاروق الحديثة ، تح : د. خليل محمد العربي ،ط١ ، ١٤١٥ .

٣ _ الأصوات اللغوية : د. ابراهيم أنيس ، ط٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٤ _ اسرار ترتيب القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ هـ) تح : عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، ط١ ، القاهرة .

٥ _اسرار التكرار في القرآن : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٢ ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، ١٣٩٦ .

٦ _ بدائع الفوائد ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١) ، دار الكاتب العربي ، بيروت .

٧ _ البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي ،ت ٧٩٤ ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١ .

٨ _ التبيان في أقسام القرآن : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت٧٥١ هـ) تح : علي محمد البجاوي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٣ م .

٩ _ التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم المصري ، ت ٨١٥ ، دار الصحابة بطنطا ، تح:د. فتحي أنور الدابولي ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٢ م .

١٠ _ تذكرة الأريب في تفسير الغريب : أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر ، تح : محمد عبد السلام محمد ، مكتب الفلاح ، الكويت ، ط١، ١٤٠٨ .

١١ _ التطور النحوي للغة العربية : جوتهف برجستر اسر ، تصحيح وتعليق : د. رمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجي ، دار الرفاعي ،الرياض ، مطبعة المجد القاهرة ، ١٩٨٢ م .

١٢ _ التعريفات : علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) تح : ابراهيم الابياري دار الكتاب العربي ط١

١٣ _ تفسير ابن كثير المسمى بالتفسير العظيم ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، مصر

١٤ تفسير أبي السعود : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العبادي ، أبو السعود (ت٩٥١) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

١٥ _ تفسير البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

١٦ _ تفسير شبر : السيد عبد الله شبر ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، راجعه د. حامد حقي داود .

١٧ _ تفسير الطبري : جامع البيان من تأويل آى القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، ط٢ ، مصر ١٩٥٤.
١٨_ تفسير القرآن :عبد الرزاق بن همام الصنعاني تح: مصطفى مسلم محمد ، مكتب الرشد الرياض.
١٩ _ تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي دار الكاتب العربي ، القاهرة .
٢١ _ تفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
٢٢ _ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري ، القاهرة . ١٩٧٨
٢٣ _ تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر المخزومي ، أبو الحجاج (ت ١٠٤هـ) دار المنشورات العلمية بيروت ، تح : عبد الرحمن السورتي .
٢٤ _ تفسير النسفي : للنسفي ، عدد ٤ أجزاء .
٢٥ _ تفسير الواحدي المسمى بالوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) تح : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية ١٤١٥.
٢٦ _ تهذيب اللغة : الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب القاهرة ، ١٩٦٧ م .
٢٧ _ الحجة في القراءات السبع : الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ، تح: د. عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠١ هـ .
٢٨ _ الدر المنثور : جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ط١ ، ١٩٩٣ م .
٢٩ _ دقائق التفسير الجمع لتفسير ابن تيمية ، لابن تيمية الحراني ، (ت ٨٢٨ هـ) مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، تح : محمد السيد الجليند ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .
٣٠ _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمد الآلوسي ، أبو الفضل (ت ١٢٧٠ هـ) دار احياء التراث العربي ، بيروت .
٣١ _ زاد المسير في علوم التفسير : عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧ هـ) دار المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٤ هـ .
٣٢ _ الصحاح : اسماعيل بن حماد الجوهري ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دارالعلم للملايين .
٣٣ _ صحيح البخاري الجزء الخاص بالتفسير : محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، ط٣ ، تح : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير للنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٣٤ _ غريب القرآن : السجستاني ، أبو بكر محمد بن عبد العزيز (ت ٣٣٠ هـ) دار الرائد العربي لبنان ، ١٩٨٢ م .
فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني ، دار الفكر ، بيروت .
٣٥ _ الفروق في اللغة : أبو هلال العسكري (ت ٤٠٠ هـ) ط٣ ، دار الافاق الجديدة ، بيروت .

٣٦ _ في ظلال القرآن : سيد قطب ، مطبعة دار الشرق ، ط١١ ، بيروت ، ١٩٥٨ م .
٣٧ _ القاموس المحيط للفيروز آبادي ، دار الفكر بيروت ، ١٩٧٨ م .
٣٨ _ كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، (ت ٧٢٨ هـ) ، تح : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، مكتبة ابن تيمية ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
٣٩ _ اللسان لابن منظور ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٦ م .
٤٠ _ اللغات في القرآن : رواية ابن حسنون (ت ٣٨٦ هـ) باسناده الى ابن عباس ، تح : صلاح الدين المنجد ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
٤١ _ ما دل القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة : أبو المعالي محمود شكري بن شهاب الدين الآلوسي (ت ١٣٤٣ هـ) تح :عبد الر حمن قاسم النجدي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ١٩٧١ .
٤٢ _ مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٤٣ _ مجاز القرآن لابي عبيدة ، تح : محمد فؤاد سزكين ومحمد الخانجي ، ط١ ، ١٩٥٤ م .
٤٤_مشكل اعراب القرآن : مكي بن ابي طالب القيسي (ت٤٣٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، تح : حاتم الضامن ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
٤٥_ معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ، تح : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة .
٤٦ _ معجم متن اللغة الشيخ أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٨ م .
٤٧ _ المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني ، تح : سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت .
٤٨ _ المقاييس لابن فارس ، تح : عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ .